الموت في الشعر الجاهلي

تاليف

دكتور
حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام
المدرس بقسم الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ — ١٩٩١ م

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف جامع الأزهر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتحن الانسان بالحياة ، وجعل الموت مصيره والآخرة منتهاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعد

فلقد شغلت منذ وقت غير قصير بفكرة هذا البحث (رؤية الشاعر الجاهلى للموت واحساسه به وعقيدته فيه) .

وما زالت الفكرة تراودنى ، تجىء وتذهب ، وتلوح وتغمض ، حتى قدر الله لى أن أعيش بعض الزمن فى احدى مناطق شبه جزيرة العرب ، فملأت عينى من مظاهرها الطبيعية ، وأحسست بنفسى بعض ظواهرها المناخية ، وسرحت بخواطرى لأتخيل أهل هذه المناطق كيف كانوا يعيشون ؟ وبماذا كانوا يشعرون ؟ قبل الاختراعات الحديثة التى ذللت الصعاب وعمرت اليباب . فتبلورت الفكرة واستقرت ، وأقامت ولم تذهب ، وأيقنت بانه لا بد أن يكون الجاهليون أحسوا بالموت احساسا شديدا ، وقد كانوا يلاقونه فى كل وقت ، ويتخيلونه فى كل شبر .

فقويت عزيمتى ، ومضت ارادتى للكتابة فى هذا الموضوع ، فرحت أبحث عن الدوافع التى يمكن أن تزيد احساسهم بالموت ـ وأنا أعلم أن كراهية الموت جزء من فطرة الانسان ، وأن حب البقاء جبلة فى طبعه ـ لكن الذى يزيد من هذه الكراهية ويضاعف القلق والخوف من ذهاب الحياة هو ما بحثت عنه عند الجاهليين ، وقد اهتديت الى

أن العوامل البيئية والظروف المعيشية والعوامل المتولدة من حياة الصحراء أسهمت بقدر كبير فى زيادة احساس الجاهليين بالموت ، لكن العامل الأقوى كان افتقادهم الدين الصحيح واليقين بالآخرة ، فهما كفيلان بأن يغمرا النفس بالطمأنينة ، ويملآها بالرضا والأمل ، وكل ذلك لم يكن عند الجاهليين .

ثم تتبعت أشعارهم التى عبرت عن موقفهم من الموت وحملت احساسهم به ، وصنفتها الى ثلاثة أنماط هى : رثاء النفس ـ ورثاء الآخرين ـ والحكمة) .

ولقد ظهر لى أن شعراء كثيرين رثوا أنفسهم فى الجاهلية ، منهم الفارس الذى بكى نفسه وهو يحتضر بعد اصابته فى غارة ، أو ناح عليها ، وهو أسير ينتظر الموت ، ومنهم الشيخ الهرم الذى ذهبت قوته ، وأوشكت نهايته ، ومنهم المشهور ، وكثير منهم مغمور ، فترجمت لهم جميعا واثبت أشعارهم التى رثوا فيها أنفسهم .

وفى رثاء الآخرين انتقيت النصوص التى يظهر فيها احساس الشعراء بالموت ، حتى لا تخرج الدراسة عن اطارها المرسوم لها ، ثم نظرت فى شعر الحكمة الذى تناولوا فيه قضية الموت ، واستخرجت منه عقيدتهم فيه ورؤيتهم له .

ثم درست بعد ذلك الخصائص الموضوعية والفنية لشعر الموت .

ـ وبعد فانى أعتقد أن هذه الدراسة تسكب مزيدا من الضوء على حياة العرب فى العصر الجاهلى ، وتجلى جانبا من مشاعرهم وتقدم صورة لخواطرهم وأفكارهم فى مواجهة الموت .

وأرجو أن تكون هذه الدراسة اضافة مفيدة وموفقة فان تحقق الرجاء ، فالحمد لله على توفيقه وتسديده ، وان لم يتحقق فحسبى أني لم أدخر وسعا ، ولم آلو جهدا ، والله المستعان .

د. حسن عبد السلام

٢٥ من ربيع الآخر سنة ١٤١١ هـ

١٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٠ م

الباب الأول

عوامل الاحساس بالموت عند الجاهليين

الفصل الأول : طبيعة بيئة الصحراء .

الفصل الثانى : الحروب .

الفصل الثالث : الرحلة .

الفصل الرابع : افتقادهم الدين الصحيح .

الفصل الأول

طبيعة بيئة الصحراء

تؤثر كل بيئة فى أصحابها ، وتطبع تفكيرهم بطابعها ، وتوحى اليهم بكثير من أفكارهم ، وتصبغ الى حد بعيد مشاعرهم وأحاسيسهم بصبغتها . يقول الأستاذ الزيات : « ولجو الاقليم أثر طبيعى فى حياة أهله ، فهو الذى ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم ويكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم »(١) .

وبيئة العرب قبل الاسلام هى بيئة صحراء شبه الجزيرة التى اثرت فى سائر نواحى حياتهم المادية والفكرية والعاطفية .

فى ذلك العصر لم يكن بوسع الانسان أن يسيطر على هذه الصحراء ليتجنب الكثير من أخطارها ، ولم يكن له بد من الشعور بالرهبة أمام اتساعها وترامى أطرافها ، وبالخوف من صعوبة طبيعتها ووعورة مسالكها ، وبالريبة مما تخفيه تلك الصحراء وراء جبالها وخلف هضابها وداخل أغوارها .

ان هذا الاحساس بالصحراء هو الاحساس الطبعى الذى يشترك فيه أغلب من عاش فى تلك البيئة وان ادعى بعضهم خلافه شجاعة وقوة .

بل انى لأظن أن الحديث الطويل عن الشجاعة والجسارة فى

---

(١) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ص ٨ .

مواجهة تلك البيئة - كما نجد فى الأدب الجاهلى - هو محاولة من الانسان أن يتقوى ويصبر على مقاومة هذه البيئة الجبارة والانتصار عليها ٠

اننا فى عصر الكهرباء والطائرة نشعر بكثير من الوحشة اذا تاملنا طبيعة شبه الجزيرة العربية ، وبقليل من التخيل يستطيع المرء أن يدرك مدى ما كان يعانيه الجاهليون فى مواجهة بيئتهم ٠

فى عصر الناقة والشاه والفرس واجه العرب بيئة الصحراء وعاشوا فيها بالخوف وبالحلم وبالحرب وبالشعر ٠

ويحسن بنا - ليتحول تخيلنا الى حقيقة - أن نعرف صفة شبه الجزيرة العربية وأن نقف على سمات التضاريس والمناخ فيها كما رصدها المتخصصون (١) ٠

١ - **التضاريس :**

ينقسم سطح شبه الجزيرة العربية الى الأقسام الآتية :

— **سهول تهامة :** وهى سهول ساحلية تمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ويختلف اتساعها من مكان الى آخر ، وهى سهول رملية وحصوية ، تنتشر المنصهرات البركانية فى بعض أجزائها ، وتجرى بها الوديان القصيرة التى تفيض بالمياه عقب سقوط الأمطار ، وتصب فى البحر الأحمر ٠

---

(٢) استقيت المعلومات فى هذا المبحث من كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب ، جـ ١ للدكتور محمود طه أبو العلا ٠ ص ١٨ ، ٣٩ وما بعدها ط ١٢ - الأنجلو المصرية ١٩٧٧ م ٠

— **المرتفعات الغربية :** تمتد هذه المرتفعات موازية لسهول تهامة ، فتقع السهول بين الجبال والبحر الأحمر ، وتتسع المسافة بين المرتفعات والبحر حتى تبلغ أربعين كيلو مترا فى بعض المناطق ، وتضيق حتى تكاد تشرف المرتفعات على البحر مباشرة ، وتنقسم سلاسل المرتفعات هذه الى ثلاثة أقسام هى :

(أ) **مرتفعات الحجاز أو السراة :** ويطلق هذا الاسم على الجزء الممتد من رأس خليج العقبة جنوبا حتى عرض ٢٠ درجة شمالا ، وتتكون هذه المرتفعات من عدة سلاسل جبلية تتخللها الوديان الطويلة وبها ينابيع تغذيها المياه الجوفية ، وتتكون الجبال من صخور نارية ، وتكثر بها الوديان الجبلية والثنيات المنخفضة والكتل الانكسارية ، وتغطى الصخور البركانية بعض أجزائها .

(ب) **مرتفعات عسير :** وهى أكثر ارتفاعا من جبال الحجاز اذ يتراوح ارتفاعها بين خمسة آلاف وعشرة آلاف قدم ، والوديان فيها أكثر ماء وأكثر عددا من وديان جبال الحجاز نظرا لغزارة الأمطار بها ، وتمتد هذه الوديان من مرتفعات عسير الى ساحل البحر الأحمر فى تهامة عسير التى لا يزيد اتساعها كثيرا عن تهامة الحجاز .

(ح) **مرتفعات اليمن :** وهى أشد ارتفاعا وأكثر امتدادا نحو الشرق من المرتفعات السابقة اذ تصل بعض قممها الى أربعة عشر ألف قدم ، ويتراوح ارتفاعها ـ عامة ـ بين سبعة آلاف وعشرة آلاف قدم ، ويتدرج انحدار هضبة اليمن نحو الشرق ويزداد انحدارها نحو الغرب الي السهل الساحلي (تهامة اليمن)

وتمتد الوديان من حافة الهضبة الى السهل الساحلى الذى تكثر به السبخات والمستنقعات بجوار ساحل البحر الاحمر ، وتمتد هذه الوديان جهة الشرق حتى تنتهى فى رمال الربع الخالى .

— **الهضاب الغربية :** وهى الهضاب التى تلى المرتفعات الغربية فى منطقة جبال السراة من جهة الشرق وهى : **هضبة الحسمى** ، وتقع فى أقصى الشمال ويبلغ متوسط ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم وينحدر سطحها الى الشرق والشمال أيضا .

وهضبة عسير : وتقع جنوب هضبة الحجاز وهى أكثر تلك الهضاب ارتفاعا اذ يصل ارتفاعها ستة آلاف قدم ، وتقطعها أودية كثيرة .

— **السهول والمرتفعات الجنوبية :** وتنحدر هذه المرتفعات من الغرب الى الشرق ، والأجزاء الغربية منها أقل ارتفاعا من هضبة اليمن بقليل ، ويقل الارتفاع من جهة الشرق ليتراوح بين ثلاثة آلاف قدم وستمائة قدم ، ويمتد وادى حضرموت فى هذه المرتفعات موازيا لساحل البحر العربى ، ثم ينحدر فجاة الى الجنوب الشرقى ويصب فى البحر العربى .

— **اقليم مرتفعات عمان :** ويقع هذا الاقليم فى أقصى جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ، وتختلف بنيته عن سائر أجزاء شبه الجزيرة ، وتتكون مرتفعات عمان من الصخور الرسوبية التى تعرضت لكثير من حركات القشرة الأرضية والتى أدت الى تكوين انكسارات وفوالق نتجت عنها الأودية الانكسارية والكتل القافزة فى أقصى شمال المرتفعات ، وتأخذ مرتفعات عمان شكل هضبة يبلغ ارتفاعها أربعة آلاف قدم ، وأعلى أجزائها حافة يتراوح ارتفاعها بين عشرة آلاف وتسعة آلاف قدم ، وتقطع الوديان الهضبة

الى الشرق متجهة الى خليج عمان أو الى الغرب حيث تضيع مياهها فى رمال الربع الخالى •

— الأجزاء الوسطى : وأهم هذه الأجزاء هضبة نجد ، والنفود الكبير ، والربع الخالى •

وتمتد هضبة نجد من المرتفعات الغربية غربا الى هضبة الصمان شرقا ومن النفود الكبير شمالا حتى الربع الخالى جنوبا ، ويبلغ أقصى ارتفاعها فى الغرب ، ويقل تدريجيا نحو الشرق ، ومتوسط ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم • وتقع فى هضبة نجد جبال طويق وهى على هيئة قوس يرتفع الى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم ، وجبال شمر التى تقع فى الشمال الغربى للهضبة ، ومتوسط ارتفاعها خمسة آلاف قدم • ويقع فى هضبة نجد أيضا نطاق الدهناء الرملى الذى يتراوح ارتفاعه بين ألف وخمسمائة ، وألفى قدم ، وتجرى فى الهضبة عدة أودية • أما النفود الكبير فهو على شكل مثلث قاعدته فى الغرب ورأسه فى الشرق ، وتغطى الكثبان الرملية الكثيفة الحوض الذى يشغله هذا الجزء ، وهى فى الغرب والجنوب أكثر منها ارتفاعا فى الشرق والشمال • أما الربع الخالى فهو منطقة رملية واسعة تمتد من سفوح المرتفعات الغربية غربا الى سفوح مرتفعات عمان شرقا ، ومن هضبة نجد شمالا الى هضبة حضرموت فى الجنوب ، وتملأ الكثبان الرملية الربع الخالى ، وتأخذ أشكالا مختلفة ، فمنها المتحرك ومنها الثابت ، وهى أكثر ارتفاعا فى الجنوب والغرب منها فى الشمال والشرق •

ـ **حوض وادى سرحان :** ويقـع هذا الحوض غرب منطقة النفود الكبير وقد تكون نتيجـة حدوث انكسـارين كان اتجـاه أحدها من الشمال الغـربى الى الجنوب الشرقى واتجـاه الآخـر من الجنوب الغربى الى الشـمال الشرقى .

ـ **سهول الاحسـاء :** وتقـع فى شرقى شبه الجـزيرة العـربية ، وهى تنحـدر من الشرق والى الشمال الشرقى وتمتـد بها التكوينـات الرمليـة .

٢ ـ المنــاخ :

أدى تنوع التضـاريس فى شبه جـزيرة العرب بين جبال مرتفعـة ووديان منخفضـة وسهول الى اختـلاف مناخى بين أجزائها ، فالحـرارة ترتفـع جـدا فى الأجـزاء الداخلية وفى المنـاطق المنخفضـة صـيفا ، بينما تكون أقـل ارتفـاعا فى المنـاطق الساحلية والمرتفعات . ويغلف المنـاخ الصحراوى شبه الجـزيرة كلها ما عدا الجـزء الجنوبى الغـربى منهـا ، وترتفـع درجة الحرارة صيفا حتى يبلـغ متوسط نهايتها العظمى ستة وأربعـين درجـة ، وتنخفض فى الشتاء الى ما يقـرب من درجـة الصفر ، وتزداد الرطوبة النسبية شتاء فى المنـاطق السـاحلية اذ يصـل معدلها سبعين فى المـائة ، وتقـل هذه النسبة فى المنـاطق الداخلية حيث يصـل معدلها خمسين فى المـائة ، وتنخفض هذه النسبة فى الصيف اذ يصـل معدلها فى المنـاطق الساحلية خمسين فى المـائة وفى المنـاطق الداخلية ثلاثين فى المـائة .

وتهب الـرياح والعواصف الرمليـة ، التى كثيـرا ما تضـر بالانسان والحيوان فى شبه جزيرة العرب .

وقد يتغير اتجاه الريح بين وقت وآخر ، والعرب تسمى الرياح التى تهب من جهات مختلفة الرياح المتذائبة تشبيها لها بالذئب وقد يكون ملحظ هذا التشبيه الفعل (الاتيان من جهات مختلفة) أو الصوت اذ تحدث الرياح الشديدة أصواتا أشبه ما تكون بعواء الذئب •

ويتولد من الصحراء عوامل أخرى جعلت الاحساس بالموت عند الجاهليين قويا ، فالمصدر الوحيد للمياه فى شبه جزيرتهم كان المطر والعيون ، والماء هو سر الحياة وعمادها ، وفى حياة تعتمد على الرعى فى أكثر الأماكن ومعظم الأحيان يصبح الماء ثروة ثمينة تشتعل بسببها الحروب ، فقلة الخير والشح بأسباب الحياة من طعام وشراب كان هو الطابع العام الغالب على شبه جزيرة العرب •

اذا أضيف الى ذلك حرارة الجو فى الصيف بدرجة عالية ، وضرورة الترحل من مكان الى آخر بحثا عن العشب ، مع وعورة المسالك وصعوبة الطرق وندرة الظل وقلة الأشجار عرفنا الى أى حد كان الاحساس بالموت والخوف من الهلاك يملأ حياة الصحراء • والخوف من الهلاك فى تلك البيئة لا يقل فى الشتاء عنه فى الصيف فقد يأتى المطر سيولا مهلكة ، وقد ينـدر حتى يتبدد الأمل فى أن ينبت زرع أو يدر ضرع •

وفى الشتاء يسد الضباب الأفق فى بعض الأماكن - أحيانا - حتى يشتبه النهار بالليل ، فتتعذر الرؤية ويصبح الهلاك أمرا محتملا بسبب ما يمكن حدوثه فى تلك الأجواء من اصطدام بحجر أو سقوط فى واد أو غير ذلك •

وقد يشتد البرد حاملا معه الحمى ونذر الموت فى بعض الأحيان •
ومن العوامل التى تولدت من الصحراء ، وزادت من احساس الجاهلى

بالموت كذلك ، انتشار أنواع الحيوان المفترس فى تلك البيئة كالأسد والذئاب والضبع ، وأنواع الحشرات القاتلة كالحيات والثعابين ، ثم ما كان يتخيله ساكنو الصحراء من أشباح وأرواح وجن ومخلوقات لا يرونها ، لكنهم كانوا يعتقدون أنها تسرح فى صحرائهم وتصيح فتملأ الجو من حولهم بالفزع والرعب .

ولقد صور الشعراء الجاهليون هذه الصحراء الرهيبة التى يتخيل الموت كامنا فى كل شبر منها ، ووصفوها بما رأوه فيها ، وبما تخيلوه منها . وعبروا عن احساسهم بذلك كله ، وألمحوا الى العوامل التى سبق الحديث عنها ـ أحيانا ـ وصرحوا بها فى كثير من الأحيان .

يقول الأعشى فى معلقته (٣) :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة ... للجن بالليل فى حافاتها زجل

لا يتنمى لها بالقيظ يركبها ... الا الذين لهم فيما أتوا مهل

جاوزتها بطليح جسرة سرح ... فى مرفقيها اذا استعرضتها فتل

(والبلدة : القطعة من الأرض . وشبهها بالترس لبيان أنها غليظة وصعبة على من ينفذ فيها . موحشة : كثيرة الوحش . الزجل : الصوت . حافاتها : نواحيها : يتنمى : يرتفع . القيظ : شدة الصيف . مهل : أناة وصبر . طليح : مهزولة لكثرة أسفارها . جسرة : ضخمة . سرح : سريعة . فتل : قوة وصلابة) .

وبيئة بهذا الوصف تتطلب من أهلها اعداد الرواحل القوية

---

(٣) راجع شرح القصائد العشر للتبريزى ص ٣٤٠ ، تحقيق عبد السلام النخوفى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

الشديدة التى تصبر على العطش والجوع ، وتتحمل مشقة السير فى تلك الأرض الصعبة وتقدر على الصعود والهبوط ، ولهذا أبدع الجاهليون فى وصف نوقهم التى كانوا يسافرون عليها ، ووصفوها بالقوة والسرعة والتحمل والصبر .

فى أبيات أخرى للأعشى . يصور الفلاة مقفرة شحيحة بالخير ، لا تجد الابل فيها ما تطعمه ، فتتسلى بالاجترار ، ويقول انه تجاوزها بناقة نشيطة قوية مسرعة شديدة ، كانت ترجم المرتفعات بأخفافها الصلبة ، فتشق ما فيها من حصى شقا ، ثم يشبهها بحمار الوحش وبثوره فى السرعة والنشاط .

يقول الأعشى (٤) :

وفلاة كأنها ظهر ترس   ليس الا الرجيع فيها علاق

قد تجاوزتها وتحتى مروح   عنتريس نعابة معناق

عرمس ترجم الآكام بأخفا   ف صلاب منها الحصى آفلاق

ويصف سويد بن أبى كاهل (٥) الصحراء وما يتراءى فيها من سراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه له يجده شيئا ، وما يطير خلالها من رياح حارة تصيب الرأس بالدوار ، فيقول (٦) :

١ ـ كم قطعنا دون سلمى مهمها   نازح الغور اذا الآل لمع

---

(٤) أنظر : العصر الجاهلى ، د. شوقى ضيف ص ٣٥٤ .
(٥) سويد بن أبى كاهل شاعر مخضرم أدرك الاسلام وعاش فى الجاهلية دهرا .
(٦) أنظر شرح المفضليات : تحقيق على محمد البجاوى ، القسم الثانى ص ٧٠٩ .

(المهمة : القفر . وقوله : دون سلمى ، أى مهمها قاصرا عن بلاد سلمى بعيد الغور . والمعنى : كم من مفازة ركبناها وقطعناها لبعدنا عن هذه المرأة حتى وصلنا اليها . واذ الآل : ظرف لقطعنا ، يريد قطعنا الشقة اليها فى الهاجرة) .

٢ ـ فى حرور ينضج اللحم بها　　يأخذ السائر فيها كالصقع

(الحرور : يكون بالليل والنهار ، وهو فعول من الريح الحارة . وقوله : ينضج اللحم بها : من صفة الحرور . والصقع : حرارة تصيب الرأس ، وأصله الضرب على الشئ اليابس ، وقيل : الصقع دوران فى الرأس .

٣ ـ وتخطيت اليها من عدا　　بزماع الأمر والهم الكتع

(المعني : وكم تخطيت اليها من عدا ـ وزماع الأمر : الأخذ فيه . والهم الكتع : يعنى الهم الملازم) .

٤ ـ وفلاة واضح أقرابها　　باليات مثل مرفت القزع

(الأقراب : الخواصر ، وهو هنا تشبيه ، أراد جوانبها وأطرافها التى هى منها بمنزلة الخواصر من الناس ، وجعلها واضحة لبيانها ، وباليات : حال . وشبهها بما ارفت من السحاب أى تكسر وضار رفاتا ، وكذلك القزع ، واحدتها قزعة ، وهى قطع الشعر المتفرقة) .

٥ ـ يسبح الآل على أعلامها　　وعلى البيد اذا اليوم متع

(الآل : السراب . والأعلام : الجبال . والبيد : جمع بيداء وهى القفر ، ومتع النهار : اذا ارتفع) .

٦ ـ فركبناها على مجهولها　　بصلاب الأرض فيهن شجع

(إعتسفناها علي غير قصد وهداية . وصلاب الأرض : الخيل) .

أما امـرؤ القيس فيصف الصحراء في الشتاء ، مصـور أمطـارها الغـزيرة وسيولها المهلكة التى تجـرف فى طريقها جذوع النخـل ، وتهدم البيوت وتغـرق السباع ، وتفـزع الوعـول ، وتلقى فى نفس الانسـان بالفـزع والخوف من الهـلاك فيقول (٧) :

أصـاح ترى برقا كأن وميضـه ... كلمـع اليـدين فى حبى مكلل (٨)

يضىء سـناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط فى الذبال المقتل (٩)

قعدت له وصحبتى بين ضـارج ... وبين اكـام بعـدما متأمـل (١٠)

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل (١١)

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطماً الا مشيدا بجنـدل (١٢)

كأن طميـة المجيمـر غـدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل (١٣)

كأن أبـانا فى أفـانين ودقـة ... كبير أناس فى بجـاد مزمل (١٤)

---

(٧) الأبيات من معلقته : راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٣٠ - والعصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ، وشرح القصائد السبع الطوال للأنبارى وشرح القصائد المشهورات لابن النحاس ، وشرح المعلقـات للتبريزى .

(٨) صاح : ترخيم صاحب . وميض البرق : لمعانه . الحبى من السحاب: المتراكم ، أو الدانى من الأرض . المكلل : المتراكم أيضا .

(٩) السليط : الزيت . الذبال : الفتائل ، وأهان السليط : يعنى أكثر من الزيت ، كناية عن شدة الضوء .

(١٠) ضارج واكام : موضعان .

(١١) الفيقة : ما بين الحلبتين . يريد أنه يسح ثم يسكن ثم يسح وهكذا . وعن هنـا بمعنى بعد . يكب على الأذقـان : يلقى على الوجه . والكنهبل : شجر العضاة العظيم . والدوح : الشجر الكثير الأغصان والورق .

(١٢) الأطم : البيت .

(١٣) طمية : جبل المجيمر : مكان . الغثاء : ما يحمـله السيل . فلكة المغزل : ما استدار فوق رأسه .

(١٤) أبان : جبل . أفانين : ضروب . الودق : المطر . البجاد : كساء مخطط .

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه
نزول اليمانى ذى العياب المخول(١٥)

كان سباعا فيه غرقى غدية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل(١٦)

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبل(١٧)

القى ببسيان فى الليل بركه فأنزل منه العصم من كل منزل

فى الأبيات السابقة وصف امرؤ القيس البرق الذى يلمع وسط السحاب المتراكم ، وهو يسبق المطر الشديد ـ غالبا ـ وتحدث عن السيل المنهمر الذى جرف كل شىء فى طريقة ، واقتلع الأشجار من جذورها وهدم البيوت الا ما شيد بالصخر منها ، وأشار الى ما يحمله السيل من غثاء ، يلقيه على الأرض والجبال فيخططها ويلونها ، فتبدو كأنها فرشت بالبرود الزاهية الألوان ، ويتراءى جبل أبان بعد أن غطاه السيل بغثائه وأوراق الشجر التى يحملها مثل شيخ ملتف فى كساء مخطط . ووصف الشاعر السباع التى أغرقها السيل ، وهى ترفع رؤوسها مخافة الغرق فتظهر تلك الرءوس كأنها جذور البصل البرى ، والوعول التى نزلت من منازلها فوق الجبال هربا من الغرق .

وأخبر الشاعر أن السحاب كان يسد الأفق حتى يظن من يراه أنه ممتد من ديار بنى أسد الى ما وراء بلاد البحرين .

---

(١٥) الغبيط : موضع . بعاعة : ثقله . العياب : الحقائب . المخول : كثير المتاع .
(١٦) غدية : فى الصباح . أنابيش العنصل : جذور البصل البرى .
(١٧) قطن : اسم جبل فى ديار بنى أسد . الشيم : النظر الى البرق والمطر . الستار ويذبل : جبلان .

وتبدو الصحراء فى شعر عمرو بن معد يكرب واسعة مهلكة للمطى ، يربض بها الذؤبان ، وتصيح بها الجنان ، وتتناثر على جوانبها الأشلاء والعظام فيقول(١٨) :

فكم من غائط من دون سلمى

قليل الأنس ليس به كتيع

به السرحان مفترشا يديه — كأن بياض لبته الصديع

وأرض قد قطعت بها الهواهى — من الجنان سربخها مليع

ترى جيف المطى بحافتيه — كأن عظامها الرخم الوقوع

وللمرقش الأكبر(١٩) وصف جيد للصحراء ، يرينا الى أى مدى كانت هذه الصحراء مرهوبة موحشة ، فهى قفر يدوى فيها الصوت لخلائها ، غبراء مهلكة تصيح فى أرجائها البوم ، وتنضى فى قطعها الناقة ، وتسرح بها الذئاب الجائعة ، جبالها شاهقة غبراء ، وليلها دامس طويل ، ورياحها شديدة مؤذية .

يقول المرقش الأكبر(٢٠) :

---

(١٨) أنظر الأصمعيات ص ١٧٦ ، الغائط : المطمئن من الأرض الواسع . كتيع : أحد . السرحان : الذئب : اللبة : وسط الصدر . الصديع : الصبح . الهواهى : ضوضاة الجن . الواحد هوهاة . السربخ : ما بينها وبين أرض أخرى . المليع : الواسع من الأرض .

(١٩) شاعر جاهلى عاصر المهلهل وشهد حرب البسوس ، واسمه عمرو ابن سعد بن مالك ، والمرقش لقبه .

(٢٠) شرح المفضليات : القسم الثاني ص ٨٢٢ .

ودويـة غبـــراء قـد طـال عهـــدها
تهـالك فيهــا الورد والمـرء ناعس(٢١)

قطعـت الى معـروفهــا منكـراتهـــا
بعيهـامة تنسـل والليـل دامس(٢٢)

تركـت بهـــا ليـــلا طـــويلا ومنـزلا
ومـوقد نــار لم ترمـه القـوابس(٢٣)

وتسمـع تزقـاء مــن البـــوم حولنـــا
كما ضـربت بعد الهـدوء النواقس(٢٤)

وتصبـح كالـدوداة نـاط زمامهـــا
الى شعب فيها الجوارى العوانس(٢٥)

ولمـا اضـــأنا النـــار عنـد نزولنـــا
عـرانا عليهــا أطلس اللـون بائس(٢٦)

نبـذت اليــه فـــلذة مــن شـــوائنا
حيـاء وما فحشى على من اجـالس(٢٧)

---

(٢١) دوية : منسوبة الى الدو ، وهى القفر التى يدوى فيهـا الصوت لخلائها ، تهالك : تسرع السير ، والورد هنا : الابل يعنى الواردة والتقدير ذو الورد .
(٢٢) قطعت ما لا يعرف من هذه الصحراء حتى صرت الى ما يعـرف . العيهامة : الناقة القوية الجـريئة تنسل : أى تنفذ نفاذا حثيثا .
(٢٣) تركت بها .. الخ . قطعتها وقد بقيت من الليل بقية ، وقـوله : لم ترمه القوابس : لأنه كان وحده لا أنيس له الا الوحش .
(٢٤) التزقاء : تفعال من الزقاء وهو صوت البوم .
(٢٥) الدوداة : الأرجوحة ، يقـول : تصبح النـاقة وكأنها لاضطرابها أرجوحة الصبيان ، والمـراد أن المنزل الذى نزله كان محبس سوء كان هو وناقته فيه فى اضطراب شديد .
(٢٦) أطلس بائس : ذئب جـائع .
(٢٧) نبذت : رميت . فلذة : قطعة .

فـآض بهـا جــذلان ينفـض رأسـه
كما آب بالنهب الكمي المخـالس(٢٨)
واعــرض أعـــلام كـأن رءوسـها
رءوس رجـال فى خليج تغـامس(٢٩)
اذا عــلم خلفتــه يهتــدى بـه
بدا عـلم فى الآل أغبـر طـامس(٣٠)

أما الصحراء عند بشر بن أبى خازم فهى خرق مخوف ، تعـزف فيه الجنـان ، وتهب خـلاله الرياح الشديدة الحـارة ، ويلمع فيـه السـراب ، هذه الصحراء الرهيبة كان الشـاعر يقطعها بناقته فتبريهـا وتذهب لحمها وشحمها وقوتها •

يقـول بشـر(٣١) :

١ ـ وخرق تعزف الجنان فيـه فيافيــه يخـــربها السـهام

(السهام : شئ أبيض يسقط من السماء اذا حميت الشمس وانتصف النهـار) • ويروى : يطير بها السهام ، وقالوا : معنـاه تهب بهـا رياح شديدة التـأثير حـارة •

٢ ـ ذعرت ظبـاءه متغـورات اذا ادرعـت لوامعهـا الاكـام

---

(٢٨) آض : رجع • جذلان : فرحا • الكمى : الشجاع •
(٢٩) أعرض : أى أبدى عرضه • والأعلام : الجبال • الخليج : النهر ، والمراد به هنـا السـراب •
(٣٠) الآل : السراب •
(٣١) بشر بن أبى خازم من شعراء الجاهلية الفرسان ، من قبيلة بنى أسد مات قبل الاسلام ، وضعه ابن اسلام فى الطبقـة الثانية من الفحول • والأبيات ديوانه ص ٤١ تحقيق د• عزه حسن ، وفي شرح المفضليات القسم الثالث ص ١٥٤ •

(اللوامع : ما يلمع من السراب • والاكام : الجبال الصغار • متغورات : نصف النهار اى قائلة) •

٣ ـ بذ علبة براها النص حتى   بلغت نضارها وفنى السنام

(الذعلبة : السريعة • النص : شدة السير • النضارة الخالص) •

ولئن مر بنا فيما تقدم من شعر يصف الصحراء اشارات الى سباع الصحراء ووحشها ، فان الشاعر متمم بن نويرة يصور موقفا مؤثرا يشير الى ما كان ينطبع فى أخيلتهم من صورة السباع وما استقر فى نفوسهم من رهبتها والحذر منها ، يتخيل الشاعر نفسه وهو يحتضر ، وبالقرب منه تترصده ضبع جائعة تنتظر موته لتأكله ، ويتخيل الشاعر ما ستفعله به تلك الضبع من جذب لحمه وتمزيقه حتى تاكل وتطعم صغارها منه فيقول(٣٢) :

يا لهف من عرفاء ذات فليلة
جاءت الى على ثلاث تخمع

ظلت تراصدنى وتنظر حولها
ويريبها رمق وانى مطمع

وتظل تنشطنى وتلحم اجريا
وسط العرين وليس حى يدفع

لو كان سيفى باليمين ضربتها
عنى ولم أوكل وجنبى الأضيع

---

(٣٢) الابيات فى شرح المفضليات ، القسم الأول ص ١٥٩ •
الفلائل : قطع الشعر ، وكل ملتف فليل • واخدتها فليلة •
تمخع : تظلع ، وكذلك الضبع عرجاء •

ولقد كانت الحشرات الضارة ـ خاصة الحيات ـ مصدر شر يتوجس العرب منه خيفة ، ويفزعون لرؤيته فزعا لا يقل عن فزعهم من السباع الضارية .

يصف الشاعر أبو مهدية الكلابى حية شنعاء كادت تقتله ، فلم ينس هول ما رأى وبشاعة ما أحس فقال :

قد كاد يقتلنى أصم رقش من جب كلثم والخطوب كثير

حتى أصد الله عنى راسه والله بالمرء المضاف بصير

خلقت لهازمه عزين وراسه كالقرص فلطح من طحين شعير

وكأن شدقيه اذا ما أقبلا شدقا عجوز مضمضت لطهور

ويدير عينا للوقاع كأنها سمراء طاحت من نفيض برير(٣٣)

ولم يقتصر حديثهم على السباع والحيات ، بل وصفوا الغول كذلك ، ولست أدرى اذا كانت هذه الغول صورة متخيلة أوحى اليهم بها خوفهم أم هى صورة حقيقية لحيوان رأوه وصارعوه .

يقول تابط شرا :

الا من مبلغ فتيان قومى بما لاقيت عند رحا بطان

فانى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها : كلانا نضو دهر أخو سفر ، فخلى لى مكانى

---

(٣٣) الأصمعيات ص ١٢٣ ، تحقيق أحمد شاكر وهارون ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة .

فشدت شدة نحوى فاهوى | لها كفى بمصقول يمانى
فاضربها بلا دهش فخرت | صريعا لليدين وللجران
فقالت : عد ، فقلت لها رويدا | مكانك اننى ثبت الجنان
فلم انفك متكئا لديها | لانظر مصبحا ماذا اتانى
اذا عينان فى رأس قبيح | كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب | وثوب من عباء أو شنان(٣٤)

أما فقر البيئة وشحها ، وما كان يتحمله أهلها من مشقة الجوع والمسغبة ، وما كان يهددهم فيها من الهلاك بسبب ذلك فتصوره هذه الأبيات لأبى خراش الهذلى حيث يقول(٣٥) :

وانى لأثوى الجوع حتى يملنى
فيذهب لم يدنس ثيابى ولا جرمى(٣٦)

وأغتبق الماء القراح فأنتهى
اذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم(٣٧)

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة
وللموت خير من حياة على رغم

---

(٣٤) راجع معجم البلدان لياقوت : المجلد ٣ ص ٣١ .
(٣٥) أنظر د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٧٦ .
(٣٦) أثوى الجوع : أطيل حبسه .
(٣٧) أغتبق : أشرب عشاء . المزلج : البخيل .

كما يصور شعر الصعاليك أطرافا من شظف العيش الذى كان يدفعهم الى الموت دفعا ، حتى جعلوا السلب صناعتهم ، والجرأة على اقتحام الأخطار بضاعتهم ، يفضلون الموت قتلا على الهلاك جوعا ، ويعاون بعضهم بعضا فى الغزو والسلب ، ويحتكمون الى قيم خاصة بهم .

ها هو ذا الشنفرى أحد الصعاليك الشعراء يصور لحظة من حياتهم يبدو فيها تابط شرا أمير الصعاليك مثل الأم التى توزع الأنصبة من الطعام على بنيها الجياع ، ويا لها من أم فقيرة ضائعة تعول أسرة مشردة ، يعيش أفرادها فى خطر دائم .

يقول الشنفرى :

وأم عيال قد شهدت تقوتهم اذا أطعمتهم أو تحت وأقلت(٣٨)

تخاف علينا العيل ان هى أكثرت

ونحن جياع أى آلت تالت(٣٩)

مصعلكة لا يقصر الستر دونها

ولا ترتجى للبيت ان لم تبيت(٤٠)

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفا

اذا آنست أولى العدى اقشعرت(٤١)

وتاتى العدي بارزا نصف ساقها

تجول كعير العانة المتلفت(٤٢)

---

(٣٨) المراد بأم العيال : تابط شرا . أو تحت : قترت .
(٣٩) العيل : الفقر . أى آلت تالت : أى سياسة ساست .
(٤٠) مصعلكة : صاحبه صعاليك . لا يقصر الستر دونها : لا تغطى أمرها . (٤١) وفضة : جعبة . السيحف : السهم العريض النصل
(٤٢) العدى : الأعداء . بارزا نصف ساقها : كناية عن الجد فى الأمر . العير : حمار الوحشي . العانة : جماعة الأتن الوحشية .

ولقد كان فقر البيئة أحد العوامل التى جعلت هؤلاء الصعاليك يخرجون على النظام العام للقبيلة ، ويحترفون السلب والغارة وسيلة لتحصيل ما يكفيهم من الطعام والمال ، « وتتردد فى أشعارهم جميعا صيحات الفقر والجوع ، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء » .

وكما كان الفقر دافعا كان مبررا كذلك لخروجهم وغاراتهم ، كما يبدو من شعر عروة بن الورد الذى يرد فيه على زوجه التى لامته على سلوكه ، ومخاطرته بنفسه فى الغزو ، ويبرر لها أفعاله بأنه انما يرمى بنفسه فى المهالك من أجل أن يوفر لها ما يكفيها من المال ، وليستطيع الوفاء بحقوق ذوى قرباه المحتاجين وغيرهم من الضعفاء والفقراء . يقول عروة(٤٣) :

أقلى على اللوم يا ابنة منذر
ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى(٤٤)

ذرينى ونفسى أم حسان اننى
بها قبل أن لا أملك البيع مشترى(٤٥)

أحاديث تبقى والفتى غير خالد
اذا هو أمسى هامة تحت صبر(٤٦)

---

(٤٣) هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم ، أحد شعراء الجاهلية وفرسانها وصعاليكها المعدودين كان يدعى (عروة الصعاليك) .

(٤٤) ابنة منذر : امرأته سلمى سباها من كنانة وأعتقها وتزوجها ، وأم حسان كنيتها .

(٤٥) البيع : بمعنى الشراء هنا يقول : ذرينى أشترى المجد قبل أن لا أملك ذلك .

(٤٦) الهامة : روح القتيل التي تطالب بالثأر فى زعم العرب .

تجاوب أحجار الكناس وتشتكى
الى كل معروف تراه ومنكر(٤٧)

ذرينى أطوف فى البلاد لعلنى
أخليك أو أغنيك عن سوء محضر(٤٨)

فان فاز سهم للمنية لم أكن
جزوعا وهل عن ذاك من متأخر

وان فاز سهمى كفكم عن مقاعد
لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

تقول لك الويلات هل أنت تارك
ضبوءا برجل تارة وبمنسر(٤٩)

ومستثبت فى مالك العام اننى
أراك على أقتاد صرماء مذكر(٥٠)

فجوع بها للصالحين مزلة
مخوف رداها أن تصيبك فاحذر(٥١)

---

(٤٧) الكناس : موضع .

(٤٨) التخلية : الترك والمراد هنا فراقها بقتله ، فهو اذا قتل تزوجت غيره ، واذا عاد أغناها .

(٤٩) الضبوء : اللصوق بالأرض والاستتار للصيد . الرجل : الرجالة . المنسر : الجماعة من الخيل .

(٥٠) الأقتاد : خشبات الرحل . الصرماء : قليلة اللبن . المذكر : التى تلد الذكور وهو أفظع ما يكون من نتاج العرب وأبغضه اليهم . تقول : هل أنت مستثبت هذا العام فى مالك ؟ فانى أخاف عليك الا ترجع ، فانك لا تزال تغير فكيف تراك تسلم ، وجعل من هذه الناقة للداهية .

(٥١) فجوع : تفجع الناس وهو من صفة الصرماء . الصالحون : ذوو المعروف . مزلة : تزل بأهلها .

أبى الخفض من يغشاك من ذى قـرابة

ومن كل سـوداء المعـاصم تعترى(٥٢)

ومسـتهنىء زيـد أبـوه فـلا أرى

له مدفعا ، فاقنى حياءك واصبرى(٥٣)

وفى أبيـات عـروة السـابقة اشـارات عديدة الى المـوت - اقـرأ الأبيـات الستة الأولى - وفيهـا كذلك اشـارات الى الفقـر الذى يرجـو الشاعر دفعه والتخلص منه بالترحل والغـزو .

وقد أعلن الشـاعر أنه يغـامر من أجـل أن يدرك الغنى الذى يكفيه وزوجـه ذل السـؤال والحـاجة ، ويعينه على مسـاعدة أقاربه الفقـراء فان لم يدرك تلك الغـاية فالموت أفضـل من حياة الذل والهوان .

هكذا كانت الصحراء بطبيعتها الرهيبـة ومناخها القاسى ، ووحوشها الضـارية ، وحشراتها الفتـاكة ، وفقـرها المهلك عاملا قـويا ضاعف من احسـاس الشـاعر الجاهلى بالموت .

* * *

---

(٥٢) الخفض : الدعة ولين العيش . سوداء المعاصم : المرأة التى أجهدها الجدب والهزل وشدة الجوع .

(٥٣) المستهنىء : طالب الهناء وهو العطاء . زيد أبوه : رجل من قومه يجتمع معه فى زيد جده . راجـع الأصمعيات ص ٤٣ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - ط. بيروت .

الفصل الثانى

الحـــروب

الحـروب هى مواسم حصـاد الأرواح ، فيهـا تطحن رحى المنيـة عظـام الرجال ، وتغتـال نفوس الأبطـال ، وهى مواسم شـؤم تخلف وراءها ضياع اليتم وألم الفقد وأحقـاد الثـأر •

وقـد يكون للحـرب غـاية وهدف ، فتكتسب بذلك مبررا مقنعـا يهون الموت فيهـا على ذوى الهمم العـالية ، كما هو الشـأن فى حـروب الجهاد من أجـل اعـلاء كلمة الحـق والدفاع عن حـوزة الدين •

أما اذا كانت الحـرب بلا غـاية شريفة تنتهى اليها ، أو هدف سـام قامت من أجله فبئست هى وبئس مشعلوها •

ولقد كانت أكثر حروب العرب فى الجاهلية من هذا الصنف الكريه • فأشهر الحـروب وأكبرها قامت لأسـباب تافهـة لا تستوجب اراقة الدم وازهـاق الأرواح ، فحـرب البسـوس التى تعـددت أيامها ، وكثـرت ضحاياها ، وامتـد أجلهـا أربعـين سنة بين قبـائل بكـر وقبـائل تغلب كان سببها أن كليبا سيد تغلب قتـل ناقة للبسـوس خـالة جسـاس بن مرة أحـد سـادة بكـر وفرسـانها ، فاسـتثارت خالتـه حميتـه فذهب الى كليب وقتـله ، ولم تـرض قبيـلة بكـر بالفـدية ، فاشتعلت الحـرب الضروس التى شهدتها عدة أجيال (١) •

---

(١) راجع العقد الفريد جـ ٥ ص ٢١٣ ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت •

أما حرب داحس والغبراء التى تطاير شررها وحمى أوارها بين عبس وذبيان فقد كانت بسبب رهان على سباق بين فرسين هما داحس والغبراء(٢) .

والأمر فى نظر العقلاء لا يستحق نشوب حرب ، لكنها العقلية الجاهلية البدوية التى لم يهذبها دين فاستجابت لاغواء الشيطان واتبعت نداء الحمق والهوى فأشعلت الحرب الضروس لأمر تافه .

وقد كان لبعض الحروب والغارات مبرر اقتصادى كالمنازعة على بئر ماء أو المنافسة على مكان معشب ، وقريب من هذا غارات السلب وأحداث قطع الطريق التى كانت تراق فيها الدماء فوق رمال شبه جزيرة العرب .

وليس هناك أمة وعى التاريخ أنها اقتتلت مثل العرب الجاهليين فلقد تعددت حروبهم وعرفت بأيام العرب ، وسطرت فيها كتب ، وأفردت لها الأبواب فى كتب التاريخ وكتب الأدب .

وتبلغ أيام العرب وحروبهم من الكثرة مبلغا كبيرا حتى انه ليقال :

« ان أبا عبيدة المتوفى سنة ٢١١ هـ صنف فى ألف يوم ومائتين منها كتابا اعتمد عليه من جاءوا بعده »(٣) .

ولقد وسمت هذه الأيام الكثيرة فى ذاكرة التاريخ بعلامات مختلفة ، فقد يسمى اليوم باسم المكان الذى حدثت فيه الحرب كبئر ماء أو جبل أو غير ذلك .

---

(٢) راجع العقد الفريد جـ ٥ ص ١٥٠ .
(٣) د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٦٤ .

وقد تسمى الحرب باسم السبب الذى أحدثها ، أو باسم حادثة مشهورة وقعت فيها .. وهكذا ..

وتشغل الحروب حيزا كبيرا فى ديوان الشعر الجاهلى ، بل ان هناك أغراضا عديدة فى الشعر نشأت من وحى الحرب ، فشعر الحرب والخيل ، وشعر الفخر والحماسة ، وكثير من شعر الرثاء ، يدور حول الحرب واصفا أدواتها أو حاثا ومحرضا عليها ، أو راصدا لنتائجها من ظفر رخيبة ، أو مسجلا لأحداثها من كر وفر وثبات وادبار وقتل وأسر وغير ذلك ، أو باكيا أبطالها الذين قتلوا .

والذى يقرأ الشعر الجاهلى فى الحماسة والفخر يظن أن القوم استهانوا بالموت الى حد كبير ، وأن احساسهم به تبلد ، وأن مزاجهم ألف الدم والقتل ، فاستساغ كل ذلك ولم يستقبحه .

بيد أن شعرهم فى الرثاء يعرى ما خفى من نفوسهم فى هذا الجانب ، ويظهر جزعهم من الحرب ، ويجلى احساسهم بالموت وكراهية ما هم فيه من اقتتال ، كما تظهر تلك الامور أيضا فى أشعار بعض حكمائهم الذين عرفوا برجاحة العقل وسمو النفس ، على أن الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى أن الحرب فى واقع الجاهليين أوشكت أن تكون عادة ، فهم بين حرب يخوضونها أو حرب يستعدون لها ، بين اغارة أو دفع لغارة ، بين كر وفر دائمين .

يصور ذلك تلك الأبيات لدريد بن الصمة (٤) :

وانا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حينا وليس بذى نكير
يغار علينا واترين فيشتفى ... بنا ان أصبنا أو نغير على وتر

---

(٥) أنظر : العصر الجاهلى ، د . شوقى ضيف ص ٦٤ .

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا   فما ينقضى الا ونحن على شطر

ولست أنكر أن نزعة الفخر هى الغالبة على تلك الأبيات ، لكنى أحس وراء هذه النزعة شيئا من الضيق بهذه الحياة ، وبعضا من الكراهية لها ، فالشاعر وقبيلته طعام للسيوف يغار عليهم ويقتل منهم ، وقد انقسم الدهر فى حياتهم شطرين فى كليهما قتل ، يغار عليهم أو يغيرون على غيرهم ٠

وما أتعس حياة لا تنفك عن الصراع الدموى ، ولا تزايلها الحروب ويعيش أصحابها يتجرعون كؤوس الموت باستمرار ، ويجترون مرارة الحقد والرغبة فى الثأر والانتقام ٠

ولم تقتصر الحروب على قبائل دون غيرها ، فكلهم ذاق مرارتها ، وكلهم أغار وأغير عليه ، بل ان الحرب كانت تشتعل ـ أحيانا ـ بين الجيران وذوى القربى كما يبدو من قول القطامى(٥) :

أغرن من الضباب على حلول   وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا   اذا ما لم نجد الا أخانا

وهم فى وصفهم للحرب ، وتصويرهم لما نزل بالأعداء من قتل وأسر وطرد ، يقعون على صور غاية فى القسوة حتى ليظن المرء أن قلوبهم أشربت القتل ، فهم يجدون متعتهم فى وصف المصارع والدماء واظهار التشفى بما ألحقوه بالأعداء ، وينعتون الخيل والفرسان بما يدل على الغلظة ، ويفصلون فى ذكر آثار الهزيمة ومرارتها ، وهذه أبيات للشاعر بشر بن أبى خازم تتضمن تلك المعانى ، يقول بشر(٦) :

---

(٦) راجع الأبيات وشرحها فى شرح المفضليات للتبريزى ، القسم الثالث ص ١١٩٧ ٠

سـائل تميمـا فى الحـروب وعـامرا

وهـل المجـرب مثـل مـن لـم يعـلم

غضـبت تميـم أن تقتـل عـامر

يـوم النسـار فأعقبـوا بالصـيلم

أى كانت الصيلم عاقبة أمـرهم . والصيلم : الداهية . وهذا تهكم ، والصيلم فيعل من الصلم ، وهو القطع ، أى المصطلمة لجماعتهم .

كنـا اذا نعـروا لحـرب نعـرة

نشـفى صـداعهم بـرأس صـلدم

نعـروا : هاجوا واجتمعوا . والنعـرة : أبهـة تاخذ فى الرءوس والانوف ، ومعنى نشفى صداعهم : كنـاية عن مداواة دائهم وازالة الكبـر من رءوسهم . والرأس : الرئيس . وصلدم : شديد .

نعـلو القـوانس بالسـيوف فنعتـزى

والخيـل مشـعلة النحـور مـن الـدم

أى ملطخـة الصـدور بالدماء السـائلة عليهـا . وقيـل : انما أراد كأنهـا أشعلت فيهـا نار لتأثير الطعن فيهـا ودفعها بالدماء السائلة منها .

يخـرجن مـن خلـل الغبـار عوابسـا

خبـب السـباع بـكل أكلـف ضـيغم

أى بكل رجـل كأنه أسـد أكلـف ضـيغم . والضـغم : العض . والعوابس : الكريهات المنظـر .

مـن كل مسـترخى النجـاد منـازل

يسـمو الى الأقـران غيـر مقـلم

منـازل : ينازل اقرانه ، ولا يتبغل نفسه بملاقاة من لا يؤبه له .

وبعضه غير مقلم لكونه تام السـلاح .

ففضض جمعهـم وأفلت حـاجب
تحت العجـاجة فى الغبـار الأقتـم

وراوا عقـابهم المـدلة أصـبحت
نبـذت بأفضـح ذى مخـالب جهضـم

كانت راية بنى تميم على صـورة العقـاب وراية بنى أسـد قبيـلة بشر على صـورة الأسـد ، والمدلة : التى تدل على الأقـران . والمعـنى : قـوبلت عـلامتهم العقـابية بعـلامتنا الأسـدية ، والفضـحة : شهبـة تعـلوها حمـرة .

أقصـدن حجـرا قبـل ذلـك والقنـا
شـرع اليـه وقـد أكـب على الفـم

يعنى حجـر بن الحـارث ـ الملك ابن عمـرو ـ قتلتـه بنو أسد ، وهو أبو امـرىء القيس وقوله : والقنـا شرع : أى قد تهيأت للطعن ، وقد أكب لوجهه : أى سقط .

ينـوى محـاولة القيـام وقـد مضت
فيـه مخـارص كل لـدن لهـذم

المخـارص : الأسنة . واللهذم : الحديد . أى ينوى أن يقوم فلا يقدر وقد مضت فيه الأسـنة .

وبنـو نميـر قـد لقينـا منهـم
خيـلا تضـب لثـاتها للمغنـم

تضب : تسيل . و (نمير) ابن عامر بن صعصعة : اللثـات : جمع

لثة وهى اللحمة المركبة فيها الأسنان . يقال : فلان تضب لثته على وتبض ، اذا كان حريصا عليه .

فدهمنهم دهما بكل طمرة
ومقطع حلق الرحالة مرجم

لحقنهم بكل فرس وثابة لنشاطها ، سريعة فى مرها ، يقطع الحزام لعظم جوفها .

ولقد خبطن بنى كلاب خبطة
الصقنهم بدعائم المتخيم

يريد دسن بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والخبط : الضرب ولذلك قيل : هو يخبط خبط العشواء . ومعنى الصقنهم الجانهم الى الالتصاق بدعائم البيوت المضروبة . يريد : رددنهم أسوأ الرد فى متخيمهم .

وصلقن كعبا قبل ذلك صلقة
بقنا تعاوره الأكف مقوم

يريد كعب بن ربيعة بن عامر . والصلق : رفع الصوت ، ومثله السلق ، فيقول : أوقعنا بهم وقعة لها فى الناس صوت وذكر .

وقيل : الصلق : الضرب على الشئ اليابس ، وقوله : بقنا تعاوره : يريد فعلنا تلك الصلقة من قبل بقنا تداوله الأيدى لاطرادها واستوائها .

حتى سقينا الناس كاسا مرة
مكروهة حسواتها كالعلقم

العلقم : شجر مر . أ. هـ .

وواضح أن الشاعر يعدد القبائل التي اصطلت بالحروب وذاقت

مـرارة الهـزيمة على أيدى فرسـان بنى أسـد ، وهو يصف المصارع التى وردها رؤسـاء القبـائل المهـزومة ، ويشـير الى صفات الخيـل ونعوت الفرسـان ، ويشـير الى أثر الهـزيمة فى القـوم ويشبهها بالكأس المـرة المشبهة للعلقم .

وعلى هذا النحـو يتحـدث الأعشى عما أنزلته قبيـلته بالقبـائل الأخـرى من نكال وقتـل ، وأن ذلك الأمـر مشهور عنهم بين النـاس ، فيقـول :

سـائل بنى أسـد عنـا فقـد علمـوا

ان سـوف ياتيـك مـن ابنـائنا شـكل

واسـال قشـير او عبـد الله كلهـم

واسـال ربيعـة عنـا كيف نفتعـل

انـا نقـاتلهم حـتى نقتلهـم عند اللقاء وهم جـاروا وهم جهلوا

لئن منيت بنا عن غب معـركة لم تلفنـا من دمـاء القـوم ننتفـل

قـد تخضب العَيـر مـن مكنـون فـائله

وقـد يشـيط على أرمـاحنا البطـل

نحن الفـوارس يـوم العـين ضـاحية

جنـبى فطيمـة لا ميـل ولا عـزل

قـالوا الركـوب فقلنـا تلك عـادتنا

أو تنـزلون فـانا معشـر نـزل(٧)

---

(٧) د . شوقى ضيف : العصر الجاهلى ص ٣٠٢ . شكل : أزواج مختلفة ، يريد خبرا بعد خبر . نفتعل : نفعل العظائم . غب : عقب . يقصد أنهم لا يتعبون من لقاء الأعداء . العَير : حمـار الوحش استعاره للفـرس . الفـائل : القنـاة الدموية كالشريان ، يشيط : يهلك . تنزلون : تضربون بالسيوف .

والأبيات فى مجملها تدور حول المعانى التى دارت حولها أبيات بشر بن أبى خازم لكن الجدير بالملاحظة أن قبيلة بنى أسد التى فاخر بها بشر وصورها منتصرة تذيق القبائل مرارة الهزيمة ، هذه القبيلة (بنو أسد) ورد ذكرها فى صدر أبيات الأعشى على أنها تعرف شجاعة القبيلة التى ينتمى اليها الأعشى ، وما ذلك الا عن تجربة ، فهى فى أبيات الأعشى ممن هزموا وذاقوا النكال والقتل ، وذلك يدل على أن كل القبائل ذاقوا مرارة الحرب مهزومين كما فاخروا بها منتصرين .

كما يصور مهلهل بن ربيعة فعله ببجير بن الحرث بن عباد ابن مرة ، وهمام بن مرة ، وكيف تركهما وغيرهما من القتلى غارقين فى دمائهم تطيف على أشلائهم النسور ، ويصف ما نزل بالوخوم من بنى عامر بن ذهل على يديه من سوء يوم عنيزة ، فيقول :

فانى تركت بواردات بجيرا فى دم مثل العبير
وهمام بن مرة قد تركنا عليه القشعمان من النسور
وصبحنا الوخوم بيوم سوء يدافعن الأسنة بالنحور
كأنا غدوة وبنى أبينا بجوف عنيزة رحيا مدير
فلولا الريح أسمع أهل حجر
صليل البيض تقرع بالذكور(٨)

---

(٨) المهلهل : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث سيد تغلب وفارسها وشاعرها القديم .
واردات : موضع كان فيه يوم بين بكر وتغلب . القشعم : المسن من الرجال والنسور والرخم وقد أراد بالمثنى الجمع . الوخوم : من بنى عامر بن ذهل . عنيزة : موضع . وحجر : مدينة باليمامة . وأراد بالذكور : أجود السيوف وأيبسها وأشدها . وقد أفرط فى المبالغة ، اذ جعل صليل السيوف يسمع باليمامة لولا الريح وقد كانت حربهم بالجزيرة وبين الموضعين عشرة أيام .

وتجد مثل هذه الصور فى شعر امرىء القيس وعنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم وغيرهم .

وقد يدل ذلك على استهانة القوم بالموت وجرأتهم عليه ، لكنه يدل فى الوقت نفسه على أن الموت كان يملأ حياتهم ، وأن صورته لم تفارق أخيلتهم ، وهم يمجدون الحرب فى حالة النصر والظفر ، وعند الهزيمة يجترون الأحزان .

وفى فطرة الناس التى فطرهم الله عليها كراهية الحرب وحب السلام والتعلق بالحياة ، ولا أدل على ذلك من قول الله عز وجل - فى معرض حث المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

ويمثل زهير بن أبى سلمى صوت النذير العاقل الذى يعو قومه لنبذ الحرب والتعايش فى سلام ، وتطالعنا فى شعره صور كريهة للحرب ، تنفر الناس منها ، وتبصرهم بشؤمها ووبالها ، وتحذرهم عواقبها الوخيمة ، فيصور الحرب أسدا ضاريا ، ونارا مشتعلة ، ورحى تطحن ، ويصورها ولوداً لأجيال الحقد والشؤم والثأر والانتقام ، وهى لذلك لا يجنى الناس منها الا الخسران والبوار .

يقول زهير(٩) :

---

(٩) راجع شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ١١٢ .

ومـا الحــرب الا مـا علمتــم وذقتـم

وما هـو عنهــا بالحـديث المـرجـم

متى تبعثــوها تبعثــوها ذميمـــة

وتضـــر اذا أضــربتموها فتضـــرم

فتعـــرككم عـــرك الـرحى بثفـــالها

وتلقـح كشـــافا ثم تحمـــل فتتئـم

فتنتـــج لـكم غلمـــان اشـــام كلهـم

كأحمـــر عـــاد ثـم ترضـع فتفطـم

فتغلـــل لـكم مـا لا تغـــل لأهلهـــا

قـــرى بالعـــراق مـن قفيـز ودرهـم

ولقد أشـار الشـاعر شعبة بن قميـر الى بعض العوامل التي سـبق الحـديث عنهـا ، والتى كانت تقـوى احسـاس الشـاعر الجاهلى بالموت فى قـوله :

هـــلك الذين تحمـــلوا مـن عنـــدنا

بالقتـــل والحيـــات والأوصـــاب

وبقيـت بعـــدهم فأدركـنى البـــلى

حـتى للأيـاما أســيغ شـرابى(١٠)

* * *

---

(١٠) هو شعبة بن قمير الطهوى ـ جاهلي أدرك الاسلام ـ شعر بني تميم ص ٤٣٥ .

الفصل الثالث

الرحلة

من المعروف أن حياة العرب كانت تعتمد على الترحل والانتقال من مكان الى آخر تتبعاً لمساقط الغيث ومنابت الكلأ •

والرحلة في حقيقتها وداع وترك ، ينتقل الحى فيودع جيرانه ويترك مكانه ، ويشط المزار بين المنزل القديم والمنزل الجديد وبين الرحلة والموت شبه من تلك الأوجه •

وبينهما كذلك شبه من جهة العاقبة ، فالموت يعقبه التغير والفناء ، وكذلك الرحلة • فالقوم بعد أن يتركوا منازلهم تغيرها الرياح وتعبث بها ، وتسكنها من بعد أهلها أسراب الوحش وحيوان الصحراء ، ولهذا نرى كل الشعراء الجاهليين يقفون على آثار الديار ، يبكون ويستبكون ، ويسترجعون الماضى والذكرى ، والذى يستعرض بكاء الأطلال يلاحظ أن الشعراء فى هذا الغرض يستخدمون الألفاظ الدالة على الفناء والبلى والتغير والزوال ، ويلاحظ أيضا أن الشعراء فى وصفهم للديار فى ماضيها والتعجب من مصيرها الذى آلت اليه يلمون بمعان شبيهة بمعانى الرثاء ، كما يشيرون الى فعل الزمان ويد الدهر ، والى سوابقه فى التغيير والافناء •

كل ذلك يدل على أن الترحل يذكر بالموت ويقوى الاحساس به وما يزال الناس الى يومنا هذا يبكون عندما يودع بعضهم بعضا عند رحلة أو سفر لما ارتبط فى الأذهان وفى الوجدان من علائق بين الموت والارتحال ، ففي كلا الأمرين فراق واغتراب •

يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن :

وفى نسيج الوجود خيطان ، خيط الحياة وخيط الموت ، والحياة والموت سداة الوجود ولحمته ، وفى الطلل حاول الشعراء الجاهليون أن يظهروا الخيطين معاً ، فظهر القلق من أمر الموت ، أو من الفناء ، فقد رحل الانسان الذى نصب الأثافى وطها الطعام ، ورحل ساكنو البيت ... ومن القلق يتولد البكاء ، ولذا بدا البكاء على الطلل بكاء انسان قلق يحس بعمق أن الفناء يتربص بالانسان »(١) .

وقد كان العرب ـ لذلك ـ يكرهون الترحل لما فيه من فراق للأحبة ويتشاءمون به على نحو ما يقول النابغة :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

لا مرحبا بغد ولا أهلا به ان كان تفريق الأحبة فى غد

حان الرحيل ، ولم تودع مهددا

والصبح والامساء منها موعدى(٢)

أما ألفاظ الفناء ومعانى الحزن فى وصف ديار الأحبة الذين ارتحلوا فهى فى الشعر الجاهلى أكثره ، وحسبنا أن نشير الى بعض الأمثلة من المعلقات .

فى معلقة امرىء القيس أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى بدأ الشاعر ببكاء الديار ووصف ما لحقها من تغير بعد رحيل أهلها عنها ، ووصف حزنه وأساه على فراق الأحبة ، فقال :

---

(١) أنظر الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى فى ضوء النقد الحديث ، د. نصرت عبد الرحمن ص ١٦٢ ، مكتبة الأقصى ـ عمان ١٩٧٦ .
(٢) ديوان النابغة : ص ١٠٥ .

قفـــا نبـك مــن ذكـرى حبيــب ومنزل
بسـقط الـلوى بين الدخـول فحــومل

فتوضـح فالمقـــراة لـم يعـف رسـمها
لمـا نســجتها مـن جنــوب وشــمال

تـــرى بعـــر الآرام فى عــرصــــاتها
وقيعـــانها كــأنه حــب فلفــــل

كـأنى غـــداة البـين يـوم تحمـــلوا
لــدى ســمرات الحى ناقف حنظــل

وقــــوفاً بهـــا صـحبى على مطيـهم
يقـــولون لا تهــلك أسى وتجمـل(٣)

وكما وقف امرؤ القيس وبكى وقف طرفة بن العبد على أطلال خولة واستبد به الأسى فنصحه رفاقه بالتجلد والصبر ، يقول طرفة :

لخــــولة أطـــلال ببـرقـــة ثهمـــد
تــلوح كبـاقى الوشـم فى ظـــاهر اليـد

وقــــوفاً بهـــا صـحبى على مطيهـم
يقـــولون لا تهــلك أسى وتجــلد(٤)

---

(٣) شرح المعلقات السبع : ص ٤ ٠ سقط اللوى ة منقطع الرمل المعـوج ٠ والدخول ، وحومل ، وتوضح ، والمقـراة كلها مواضع ٠ لم يعف رسمها : لم ينمح أثرها لهبـوب الرياح عليها من جهتى الجنوب والشمال فاذا غطتها احداهما بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها ٠ والآرام : الظباء ٠ وعرصات الدار : ساحاتها ٠ وسمرات : جمـع سمرة بضم الميم من شجر الطلح ٠ ناقف الحنظل : الذى يشـقه ٠ يريد : وقفت بعد رحيلهم فى حيرة وقفـة جانى الحنظـلة يشقها بظفـره ٠

(٤) شرح المعلقات السبع : ص ٣٥ ٠

أما زهير بن أبى سلمى فيصف الديار بعد عشرين سنة من رحيل أهلها ، ومن الطبيعى بعد هذه المدة الطويلة أن يصعب عليه التعرف على الديار ، وأن يعرفها بعد لأى ، فقد تغيرت معالمها ، ولم يبق منها الا آثار باهتة كالوشم فى المعصم ، واتخذ البقر الوحشى منها مسكنا ، ولما تعرف عليها حياها وفاء بحقها وحق من كان يسكنها .

يقول زهير :

آمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم

بها العين والآرام يمشين خلفة

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة

فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثافى سفعا فى معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها

ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم(٥)

ووقف النابغة فى ديار مية التى هجرها أهلها ، فبدت خالية الا من آثار قليلة ، وتراكم فى أركانها التراب ، ودب فى أرجائها

---

(٥) أنظر شرح المعلقات السبع ص ٥٨ . الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما . حومانة الدراج والمتثلم : موضعان ، والرقمتان موضعان . وقوله دار لها . يريد : داران لها بهما فاكتفى بالواحد عن التثنية . العين : البقر الواسعات العيون . والآرام : جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض . والأطلاء : جمع الطلا : وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . الآثافى : حجارة توضع عليها القدر . سفعا : سودا . المعرس : المنزل . المرجل : القدر . النؤى : نهير حول البيت ليجرى فيه الماء .

الخـراب وتذكـر الشـاعر ما حدث للقمـان بن عـاد الذى عمر طويلا ، ثم مات ، وأيقن أن رجوع الماضى مستحيل . قال النابغة :

يا دار ميـة بالعلياء فالسند	**أقـوت وطـال عليهـا سـالف الأبد**
وقفت بهـا أصـيلانا أسـائلها	**عيت جـوابا ، وما بالربع من أحد**
الا الأوارى لأيـا مـا أبينهـا	**والنؤى كالحوض بالمظـلومة الجلد**
ردت عليـه أقاصـيه ولبـده	**ضرب الوليدة بالمسـحاة فى الثـأد**
خلت سـبيل أتى كان يحبسـه	**ورفعتـه الى السـجفين ، فالنضـد**
أمسـت خـلاء وأمسى أهلهـا احتمـلوا	**أخـنى عليهـا الذى أخنى على لبد(٦)**

* * *

هكذا كانت الرحلة وما ينتج عنهـا من فـراق الأحبـة وبعد المنـازل وخـراب الديار عاملا من العوامل التى قـوت احسـاس الشاعر الجاهلى بالمـوت .

ولئن كانت تلك العوامل ناشـئة من الواقـع الجاهلى ، فان ثمت عـاملا آخـر ضاعف من احسـاس الشـاعر الجاهلى بالموت ، وهـذا

---

(٦) ديوان النابغة ص ٩٠ . العلياء : المكان المرتفع . السند : السفح موقع بين القمة والوادى . أقوت : هجرها أهلها . أصيلانا : عند الأصيل . عيت جوابا : عجزت عن الجواب . الأوارى : مفردها الآرى ، وهو ما تشد به الدابة . اللأى : الشدة . النؤى ما يحفر حـول البيت أو الخيمة ليجتمع فيه ماء المطر . والمظلومة الجلد : الأرض الصلبة الشاقة . لبده : تراكم التراب عليه . الأتى : المياه الجـارفة . السجفان : الستاران . والنضد : المتـاع .
أخنى عليها : غير أحوالها وبدلها . لبد : يقصد به نسرا يقال انه كان للقمـان بن عـاد عاش مديدا .

العامل لم يكن منشؤه الواقع والبيئة ، بل كان راجعا الى نفس الانسان الجاهلى ، التى لم تعرف اليقين بالآخرة ، ولم تؤمن بالبعث والحياة بعد الموت ، واعتقدت أن الموت نهاية كل شىء ، وأن الحياة الدنيا هى الفصل الأول والأخير فى قصة الوجود ، وقد كانت تلك العقيدة شائعة بينهم لافتقادهم الدين الصحيح على نحو ما سأبينه فى الفصل التالى .

* * *

الفصل الرابع

افتقادهم الدين الصحيح

لا جرم أن الايمان بالله واليوم الآخر ، واستقبال رسالات السماء بالتصديق الجازم واليقين الثابت يحل كثيرا من المشكلات التى يعجز عقل الانسان عن الوصول فيها الى الحق الصريح .

ان العقل البشرى قد يعجز عن تصور امكان البعث بعد الموت والحياة الآخرة اذا عمل هذا العقل بمعزل عن هدي السماء الذى تنزل على الرسل ، ولهذا ضل كثير من الفلاسفة وتاهوا ، وتشعبت بهم السبل وهم يبحثون بعقولهم فى القضايا التى أسموها (ما وراء الطبيعة) والتى تعرف فى الاسلام بالغيبيات .

ان التدين الصحيح المتضمن الايمان القوى بالله وباليوم الآخر ، يضىء قلب الانسان وعقله ، ويشبع تطلعات روحه ، ويغرس فى نفسه غراس الأمل فى رحمة الله ، ويجعل نفسه مطمئنة راضية ، تعمل الخير وتحبه رجاء مرضاة الله وثوابه ، وتحذر الشر وتكرهه خوفا من الله وعقابه .

عندئذ يصبح للحياة مغزى وهدف ، ويكتسب الموت مبررا قويا مقنعا ومرضيا للعقل الذى لا تنتهى تساؤلاته ، فيكون نهاية لمرحلة وبداية لأخرى .

الموت عند المتدين بالدين الصحيح أمر لابد منه واقعا وعقلا ، والآخرة عنده أمر لابد منه واقعا وعقلا كذلك . اذ كيف تكون الحياة الدنيا هى كل الغاية من الخلق ؟ وكيف يتساوى الخير والشر ؟ .

وهل يرضى العقل ، أو يكون من العدل أن يصبح الدفن فى التراب هو المصير الذى ليس بعده رجعة ولا حساب ولا جزاء على اختلاف ما يقع فى دنيا الناس من أعمال ، وعلى تفاوت ما يجنيه أصحابها من نتائج غالبا ما تكون غير منضبطة بموازين الحق والعدل ؟ .

والذين يعرضون عن هدى السماء ، ولا يدينون دين الحق يتخبطون فى الظلمات ، وتسير الأمور فى نظرهم بغير منطق ودون غاية ، وتبدو الحياة فى تصورهم عبثا لا فائدة منه ولا هدف له ، ويظنون أن الموت حدث لا مبرر له ولا حكمة من ورائه ، وأن البعث أمر مستحيل لا يمكن حدوثه ... وهكذا كان أكثر العرب فى الجاهلية ، وهكذا يكون كل من يفتقد الدين الصحيح فى كل مكان وزمان .

لقد كان العرب ـ فى جملتهم ـ وثنيين ، يعبدون الأصنام من دون الله ، أو يزعمون أنها شريك له .

كما كانوا ـ فى جملتهم ـ بين شاك فى البعث ومنكر له ، وأقول : « فى جملتهم » ليصح لنا أن نستثنى من هذا الحكم قليلا منهم تمسكوا ببقايا من دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ أو عرفوا شيئا مما صح من معتقدات أهل الكتاب اليهود والنصارى فآمنوا بوحدانية الله عز وجل وتعبدوه بما استطاعوا من الأعمال رجاء ثوابه وخوفا من عقابه فى الدار الآخرة .

أما أكثر العرب فكانوا مشركين بالله ، لا يصدقون بيوم الدين ، وبسبب ذلك غامت رؤيتهم ، وتخبطوا فى شعاب الحياة ، فلم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا فى كثير من الأمور ، وأملت عليهم بيئتهم قوانينها التى حكمت أنماط سلوكهم ، فاتخذوا السلب والنهب ، والغارة والحرب سبلا لكسب الرزق ، ونظروا الى الموت على أنه

النهاية التى ليس بعدها حياة ، ولم يعرفوا الحكمة منه واعتقدوا أنه حدث لا تقدير وراءه ولا تدبير ، على الرغم من تيقنهم أنه مصير لا فكاك منه لأحد ٠

وليس دقيقا ما ذهب اليه الدكتور عمر فروخ ، اذ يقول :

« البدوى موحد ، ولكنه قليل الاحتفال بالعبادات وبالدين كله اذا كان آمنا على نفسه »(١) ٠

وليس صحيحا ما ذهب اليه فى قوله :

« أما الجامع الروحى الذى كان فى جميع شبه الجزيرة العربية يجمع بين أفراد الأسرة ويجمع أيضا بين أفراد القبيلة فكان البر ٠ وقد قام البر للجاهلى فى البدو والحضر مقام الدين والرابطة الاجتماعية والأخلاق الشخصية »(٢) ٠

واستشهد الدكتور فروخ بورود كلمة (البر) فى الشعر الجاهلى لاثبات ما ذهب اليه ، وأورد قول النابغة فى حديث الرجل والحية :

فلما وقاها الله ضربة فأسه

وللبر عين لا تغمض ناظره(٣)

وأورد قول عمرو بن كلثوم :

نجذ رءوسهم من غير بر ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (٤)

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ٦١ ٠
(٢) المرجع السابق : ص ٦٤ ٠
(٣) أنظر ديوان النابغة ص ١٢١ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠
(٤) تمام البيت : فما يدرون ماذا يتقونا
وهو من معلقته : راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص١٠١ ٠

كما استند الى موقف طرفة من اقاربه الذين ظلموه وأكلوا حقه فى الميراث ، فلم يسىء اليهم رعاية لحقوق القربى ، وذلك من البر .

وما استشهد به الدكتور عمر فروخ لا ينهض دليلا لاثبات البر للجاهليين وادعاء أن هذا البر كان يقوم عندهم مقام الدين والأخلاق ، لأن المعول على ما يغلب على الانسان من سلوك ، وما يشيع فى البيئة من قيم وأخلاق ، وورود كلمة البر فى بعض الأشعار ، وموقف طرفة من أقاربه لا يكفيان لاثبات البر والأخلاق الكريمة لمجتمع بأسره ، مع ملاحظة أننا لا ننفى كل مكرمة عن الجاهليين ، فقد كان عندهم بعض المكارم التى أقرهم عليها الاسلام ، فكل انسان ـ مهما كان الأمر ـ لا يخلو من خير ، وكل بيئة لا يمكن أن تكون شرا محضا ، لكن العبرة بالكثير الغالب ـ كما أسلفت ـ .

ونحن نجد مئات الأحداث والشواهد التى تدل على أن الشر وليس الخير هو الذى كان يغلب على سلوك الجاهليين أفرادا وجماعات ، ومرجع ذلك الى الظروف الصعبة التى كانوا يعيشونها فى بيئة الصحراء ، والى عدم التزامهم بدين صحيح يكبح جماح الغرائز والشهوات ، ويحول بينهم وبين ارتكاب الموبقات ، فضلا عن انكارهم للبعث أو شكهم فيه ، فتصوروا أن الدنيا هى كل شىء ، من ظفر بها فقد ربح ومن خسرها فقد خسر ، ولا رجعة بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب .

وقد نتج عن ذلك كله أنهم أوغلوا فى الشر ، وانتشرت بينهم الرذائل والموبقات ، كالخمر والميسر ووأد البنات والاقتتال والتمثيل بالقتلى وغير ذلك ، حتى أولئك الذين عرفوا بمكارم الأخلاق منهم واشتهروا بفعل بعض الصالحات لم يكونوا يفعلون الخير الا رغبة فى

مديح الشعراء وثنائهم ليخلد ذكرهم - بعد الموت - بتلك الأفعال على نحو ما نجد فى قول عروة بن الورد (٥) :

احاديث تبقى والفتى غير خالد
اذا هو أمسى هامة تحت صبر

وفى قول سنان بن أبى حارثة (٦) :

قد يعلم القوم اذ طالت غزاتهم
فتق العشيرة والأكفاء شهادي

قد يعلم القوم اذا طالت غزاتهم
وارملوا الزاد انى منفد زادي

ولا أجيء بسوءات أعيرها
حتى يجيء من القبر ابن مياد

أثنوا على فكائن قد فتحت لكم
من باب مكرمة تعتد او واد

ولقد سمى ذلك العصر بالعصر الجاهلى ، لكثرة ما فشا فيه من الشر والفساد والحمق والطيش .

أما أقوالهم الدالة على عقيدتهم فى أن الحياة عبث لا جدوى منه ، وأنه لا بعث ولا حساب بعد الموت فمنها قول طرفة بن العبد فى معلقته (٧) :

---

(٥) الأصمعيات ص ٤٤ .
(٦) الأصمعيات ص ٢٠٩ . وسنان بن حارثة شاعر جاهلى وسيد شريف فارس ، وهو أبو هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى المشهور .
(٧) راجع شرح القصائد السبع الطوال لأبي محمد بن القاسم الأنباري ص ١٩٨ .

فذرنى أروى هـامتى فى حياتهـا
ستعلم ان متنـا غـدا أينـا الصـدى

كـريم يـروى نفسـه فى حيـاته
مخـافة شـرب فى الممـات مصـرد

الى آخـر الأبيـات .

ومما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الموت يصيب الناس من غير تدبير ولا حكمة تصوير زهير بن أبى سلمى - وهو من حكمائهم وافضلهم - الموت بحـركة النـاقة العشـواء التى تخبط دون بصر أو ادراك ، وتسير من غير نظـام فلا تهتدى الى غـاية ، وذلك فى قوله (٨) :

رأيـت المنـايا خبـط عشـواء من تصب
تمتـه ومـن تخطىء يعمـر فيهـرم

ولقد ذهب أكثر النقاد والمؤرخين والدارسين مذهبا يخالف مذهب الدكتور عمر فروخ فى قضية دين الجاهليين .

فالأستاذ أحمد حسن الزيات يقول عن دينهم :

« .. كان بقيـة أثرية من دين ابراهيم جاءتهم من وراء القـرون عن طـريق الوراثة ، مشـوهة لتطـاول العهـد وتحكم الجهـالة وعـدم القـرار ، فحـالت فى نفوسـهم الى عبـادة الأصـنام وتعظيـم الأوثان ونصبها على الكعبة تقـربا الى الله على زعمهم ، وهذه الوثنية كانت دين الكثرة من العـرب » (٩) .

ويقول الأستاذ السيد أحمد الهاشمى :

« كان للعـرب فى الجاهلية دين ، ولكنه دين ضعيف لا يخلصون له

---

(٨) شرح المعلقات السبع ص ٦٩ للزوزنى .
(٩) تاريخ الأدب العربي ص ١٠ .

ولا يصل الى أعماق نفوسهم ، وحسبنا دليلا على ذلك أننا ننظر فيما بين أيديهم من شعرهم فنرى فيه الصيد كثيرا والخمر والنساء والميسر كثيرا ، والفخر والهجاء ووصف القتال كثيرا ، ولكن قل أن نرى فيه شرحا لعاطفة دينية ، وقل أن نرى فيه ذكر الله وتمجيده ، وقل أن نرى فيه وصفا لما كانوا يعبدون »(١٠) .

ويقول الدكتور شوقى ضيف :

« كانت كثرة العرب فى الجاهلية وثنية تؤمن بقوى الهية كثيرة تنبث فى الكواكب ومظاهر الطبيعة ... وقد آمنوا بقوى خفية كثيرة فى بعض النباتات والجمادات والطير والحيوان .. فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى كما جاء فى القرآن الكريم وكانوا يتعبدون لأصنام وأوثان كثيرة أتخذوها رمزا لآلهتهم »(١١) واستشهد الدكتور شوقى ضيف بما ورد فى القرآن الكريم واشارات الى أصنام الجاهلية وأسماء تلك الأصنام كاللات والعزى ومناة ويعوق ونسر .

والدليل الدامغ أن الجاهليين كانوا أصحاب عقيدة فاسدة فى أمر الآخرة ، لا يؤمنون بالبعث والحساب ما ورد فى القرآن الكريم من آيات كثيرة ترد على مزاعمهم فى انكار البعث واستبعادهم وقوعه ، ولقد سلك القرآن الكريم طرقا عدة فى رد باطلهم وتصحيح معتقداتهم ، واظهار الأدلة العقلية التى تبرهن على أن البعث والحساب والجزاء حق لا شك فيه .

وقد تنوعت هذه الطرق بين تعجب من مذهبهم ، وتهديد ووعيد لهم ، وتأكيد على حصول البعث والحساب ، واقناع بالأدلة المبثوثة

---

(١٠) جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب ، ج ٢ ص ١١ ـ المكتبة التجارية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

(١١) أنظر تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ـ ص ٨٩ .

فى الكون ، الناطقة بقدرة الله عز وجل قدرة مطلقة لا يعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء .

فمن التعجب من أمرهم قول الله عز وجل :

« وان تعجب فعجب قولهم اءذا كنا ترابا اءنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » سورة الرعد آية ٥ .

ومن الآيات التى سلكت طريق التأكيد على وقوع البعث وحصوله قوله تعالى : **« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »** (سورة التغابن آية ٧) . للناس أن الله الذى خلق الانسان من طين قادر على اعادته وبعثه الأدلة الحسية على امكان البعث ، وتحقق الحياة الآخرة ، وتبين للناس أن الله الذى خلق الانسان من طين قادر على اعادته وبعثه بعد الممات ، وما على الذين يرتابون فى ذلك الا أن ينظروا فى آيات الله فى خلقه ، لعل الغشاوة تنجلى عنهم فيهتدون الى الايمان باليوم الآخر وما فيه ـ من الآيات التى سلكت هذا الطريق قول الله عز وجل :

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » .

(سورة الحج : آيات ٥ ، ٦ ، ٧) .

ولقد بلـغ عـدد الآيات التى ردت على منكرى البعث فى القـرآن الكريم مائة وستة وسـتين آية • هذا بيـان يوضـح أرقامها ومواضـعها فى كتاب الله عـز وجـل •

اسم السورة	رقم الآيـة
يـونس	٧ ـ ٨ ـ ١٥ ـ ٤٥ ـ ٤٨
هـود	٧
الرعـد	٥ ـ ٦
النحـل	٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٣٨ ـ ٣٩
الاسـراء	٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٩٨
الكهـف	٤٨
مـريم	٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٨٠
الحـج	٥ ـ ٦ ـ ٧
المؤمنـون	٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٧٤ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ١١٥ •
الفـرقـان	١١ ـ ١٢
النمـل	٤ ـ ٥ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨
القصـص	٣٩
الـروم	٣٠
لقمـان	٢٨
السـجدة	١٠ ـ ١١
سـبأ	٣ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩
يـس	٤٨ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢

تابع بيان الآيات التى ردت على منكرى البعث

اسم السورة	رقم الآيــة
الصــافات	١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩
فصــلت	٦ ـ ٧ ـ ٥٤
الدخـــان	٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦
الجــاثية	٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤
الأحقــاف	١٧ ـ ١٨ ـ ٣٣
ق	٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ١١ ـ ١٥
الذاريات	٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢
الواقعــة	٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣
التغــابن	٧
الجــن	٧
المـدثــر	٤٦ ـ ٤٧ ـ ٥٣
القيــامة	٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٤٠
المـرســلات	٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤
النــازعــات	١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤
الانفطـــار	٩ ـ ١٠
المطففـين	١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧
الانشــقاق	١٤ ـ ١٥
التـــين	٧ ـ ٨
المــاعــون	١ ـ ٢ ـ ٣

ولقد كانت العقيدة المشوشة بشان البعث والحياة الآخرة عند أكثر العرب فى الجاهلية عاملا من العوامل التي زادت من احساسهم بالموت وقلقهم منه .

« واذا كان الخوف من الموت هو الشعور العام عند كل انسان ، فان هذا الشعور يتناقص كلما ازداد الايمان بأن هناك الها واحدا ، وأن هناك بعثا وحياة أخرى بعد الموت ، وأن هناك حسابا ونعيما وعذابا . اذا آمن الانسان بكل ذلك يتلاشى عنده الاحساس بالخوف من الموت ، وتحل بدلا منه سكينة دائمة .

وتؤيد الدراسات الاحصائية النفسية ذلك اذ ثبت منها زيادة قلق الموت لدى انخفاض قوة الاعتقاد الديني »(١٢) .

* * *

(١٢) أنظر : قلق الموت : د. أحمد محمد عبد الخالق ، عالم المعرفة ـ الكويت ـ مارس ١٩٨٧ .

الباب الثانى

انمـاط شـعر المـوت فى العصر الجاهلى

الفصـل الأول : رثـاء النفس •

الفصـل الثانى : رثـاء الآخــرين •

الفصل الثالث : الحـكمة ،



الفصل الأول

رثاء النفس

الرثاء هو الفن الشعرى الذى تطور عن بكاء الميت والتحسر على فقده وعند الموت يكون الحزن والاشفاق ، ومحاولة التصبر والتعزى وقد كان النساء فى الجاهلية يطلن التعديد والبكاء الى سنين معدودة ، وكان لهن فى ذلك طقوس وتقاليد يدللن بها على شدة الحزن ، فيحلقن الرءوس ويلطمن الخدود ، ويخرجن نائحات •

ثم تطور عن هذه الأمور فن الرثاء ، الذى اتخذه الشعراء مستودعا لعواطف الحزن على الموتى وسجلا يذكرون فيه أمجادهم ومآثرهم ، وأداة للتصبر والعزاء وتلمس السلوى •

والعاطفة فى الرثاء غالبا ما تكون صادقة ، ويتفاوت صدق العاطفة حسب الصلة التى تربط الشاعر بالموتى ، فهى فى رثاء الأبناء والآباء ، والزوجات أقوى وأصدق منها فى رثاء غيرهم من الناس •

وعلى هذا فالعاطفة فى رثاء النفس تكون أقوى العواطف وأصدقها ، فليس أقرب للانسان من نفسه •

ورثاء النفس يكون عند حضور الموت أو قرب حضوره ـ أو تخيل واحد من الأمرين فحضور الموت غالبا ما يتصور فى حالات الأسر أو الاصابة فى الحرب • عندئذ يتصور الفارس الشاعر نفسه مودعا الحياة ، محمولا الى القبر ، فيتأثر بذلك ، ويتخيل ما يكون بعد موته من بكاء زوجه وذويه ويتم أبنائه من بعده ، ثم يأخذ فى التعزى

والتصبر ، بتذكر أمجاده السالفة ، ومآثره الباقية ، ومكرماته التى سيذكره الناس بها ، ففى كل ذلك استبقاء لذكره وخلود لسيرته .

أما تخيل الاحتضار فغالبا ما يكون عند بلوغ الشاعر أرذل العمر ، فتضعف قوته ، وتقل عند قومه قيمته ، فلا يؤبه به ولا يعتد برأيه ، فتثقل هموم الشيخوخة عليه ، ويتذكر شبابه ، وما كان يحفل به من بطولات ومآثر ثم لا يغنيه تذكره شبابه شيئا ، فقد سل المشيب عليه سيفه ، وجرده من قوته وأذهب لحمه وأوهن عظمه ، وأضعف بصره . عندئذ يتعجل الشاعر الموت ويستحضره ، ويشكو بثه وحزنه .

وفى مجال البحوث النفسية الحديثة « برهن عدد من الدراسات على وجود علاقة موجبة بين قلق الموت وقلق الزمن ... أن الوعى بالزمن يمكن أن يكون فى الحقيقة أحد مكونات قلق الموت ذاته ، ويؤكد ذلك أن الانشغال بالتغيرات الجسمية وبحالة الجسم يرتبط بقلق الموت »(١) .

والحق أن رثاء النفس فى الشعر الجاهلى أقل بكثير من رثاء الآخرين ويكاد يكون رثاء النفس مقصورا على طائفتين من الشعراء . فئة من الشعراء الفرسان ، وفئة من الشعراء المعمرين .

وأعتقد أن الشعراء الذين رثوا أنفسهم جديرون بالتعريف بهم على أنهم فئة متميزة من الشعراء . خاصة وأن كثيرا منهم من الشعراء المغمورين وإن كان بينهم بعض المشهورين .

* * *

---

(١) قلق الموت : د. أحمد محمد عبد الخالق .

الشعراء الذين رثوا انفسهم

١ — امرؤ القيس

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندى ، من أهل نجد من شعراء الطبقة الأولى ، وهو أشهر شعراء الجاهلية ، يقول مؤرخو الأدب عنه (أنه أول من وقف واستوقف وبكا واستبكى) وذلك اشارة الى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

. . . . . . الخ

كان أبوه ملكا على قبيلة بنى أسد ، ثم ثاروا عليه فقتلوه ، ولما بلغ امرأ القيس نبأ قتل أبيه قال : « اليوم خمر وغدا أمر » .

وقد كانت حياة امرىء القيس شطرين . الشطر الأول قبل مقتل أبيه وكان فترة لهو وتفلت واستمتاع بالخمر والنساء ، والشطر الثانى بعد مقتل أبيه ، وكان فترة أسفار واعداد للثار ، ومحاولة لاسترداد الملك المسلوب ، والانتقام من بنى أسد قتلة أبيه .

فلقد كانت حادثة مقتل أبيه حدا فاصلا بين حياة لاهية ماجنة ، مسرفة فى اللهو والمجون ، وحياة جادة حاول فيها الاخذ بثار أبيه ورجع سلطان كندة على بنى أسد ، لكن محاولاته باءت بالفشل ، فلم يحصد غير الحزن والشقاء ، (وكأنه كان يحس ما ينتظره حين قال :

كأنى لم أركب جوادا للذة

ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل

لخيلى كرى كرة بعد اجفال)(٢)

---

(٢) أنظر : د. شوقى ضيف . العصر الجاهلى ص ٢٥٨ .

أما شعره الذى أعده من رثاء النفس فمنه هذه الابيات :

أرانا موضعين لأمر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبان ودود ... وأجرأ من مجلحة الذئاب(٣)

وكل مكارم الأخلاق صارت ... اليه همتى وبه اكتسابى

فبعض اللوم عاذلتى فانى ... ستكفينى التجارب وانتسابى

الى عرق الثرى وشجت عروقى

وهذا الموت يسلبنى شبابى(٤)

ونفسى سوف يسلبها وجرمى ... فيلحقنى وشيكا بالتراب(٥)

الم انض المطى بكل خرق

أمق الطول لماع السراب(٦)

وأركب فى اللهام المجر حتى ... أنال مآكل القحم الرغاب(٧)

وقد طوفت فى الآفاق حتى

رضيت من الغنيمة بالاياب

ابعد الحارث الملك ابن عمرو

وبعد الخير حجر ذى القباب(٨)

---

(٣) مجلحة الذئاب : المصممة التى لا ترجع عما تريد .
(٤) وشجت : اشتبكت واتصلت ويشير بعرق الثرى الى آبائه الذين ماتوا
(٥) جرمى : جسمى .
(٦) أنض المطى : أهز لها بطول الرحلة ، الخرق : الفلاة : أمق الطول : واسع الطول .
(٧) اللهام : الجيش الكثيف . المجر : الكثير . المآكل : الغنائم . القحم : جمع قحمة من الإقتحام ، والمراد : التزاحم فى شدة . الرغاب : الواسعة .
(٨) القباب : الخيام الكثيرة .

أرجى من صروف الدهر لينا
ولم تغفل عن الصم الهضاب(٩)

وأعلم أننى عما قليل سأنشب فى شبا ظفر وناب(١٠)

كما لاقى أبى حجر وجدى ولا أنسى قتيلا بالكلاب(١١)

ان الشاعر فى هذه الأبيات فى حالة تأمل لما يصير اليه الناس ، فالكل يكدح الى الموت كدحا ، ويسرع اليه اسراعا ، لكن الانشغال بالطعام وبالشراب يلهى الناس عما ينتظرهم ، ويذهلهم عن مصيرهم ٠

ان التجارب التى عاشها الشاعر فى الشطر الثانى من حياته هى التى بصرته بتلك الحقيقة ، وأيقظت فى نفسه تلك المشاعر ٠

انه ما يزال يذكر مكارمه وعلو همته وتجاربه وشرف نسبه لكن ذلك كله لن يغنى عنه شيئا أمام هذا المصير المرتقب ، الذى سبقه اليه آباؤه وأجداده ، فالموت مدركه لا محالة ، والتراب مثواه الذى لا مفر منه ٠

وعندما يصل الشاعر الى هذا الحد فى استحضار مصيره وتخيل قبره ، يحاول التعزى بتذكر بعض ما كان فى حياته من مواقف ، ويتعجب من تبدل حاله من قوة وشجاعة واقدام وبطولة الى موت وشيك وفناء قريب ٠ ألم يكن رحالة ذا أسفار طويلة يجوب فيها الصحراء الواسعة الطويلة العريضة المخوفة المهلكة للابل ؟! ألم يكن محاربا شجاعا يقود الجيش الكثيف ؟! ألم يكن جريئا مقداما يستحوذ على غنائم الأعداد ويسلبهم ما بأيديهم ؟!

---

(٩) الصم : المصمتة الصلبة ٠ الهضاب : الجبال ٠
(١٠) شبا كل شيء : حده ٠ أنشب : أعلق ٠
(١١) قتيل موقعة الكلاب : هو شرحبيل عم امرىء القيس ٠

لكن تعجب الشاعر لا يلبث أن يزول ، فها هو ذا يرضى من الغنيمة بالاياب ويقبل راضيا المصير الذى ينتظره ، وهل يملك شيئا غير ذلك ؟! انه المصير الذى لم يستطع أجداده الملوك الفرار منه . . . أبعد أولئك السادة ينتظر الشاعر خلودا فى الحياة ؟! وأنى له أن يفلت من قبضة الفناء ، والهضاب الصم والجبال الصلبة تفنى ؟!

ويرى الشاعر موته قريبا ، ونهايته وشيكة ، ويتذكر أباه وجده وعمه الذين سبقوه إلى الموت أو سبقه الموت اليهم :

وأعلم أننى عما قليل سأنشب فى شبا ظفر وناب

كما لاقى أبى حجر وجدى ولا أنسى قتيلا بالكلاب

ولقد وافت الشاعر منيته وهو غريب عن دياره ، بعد انصرافه من القسطنطينية فى تلك الرحلة التى قصد بها قيصر الروم ليطلب منه المعاونة على استرداد ملك كندة ، ولقد قيل أن رجلا من بنى أسد يقال له (الطماح) وشى بامرىء القيس عند القيصر ، وأخبره أنه كان يواصل ابنته ، وأن له فيها أشعارا تفضحها وتفضح أباها ، فأراد القيصر الانتقام من الشاعر فأرسل اليه بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب ، فلما لبسها أسرع فيه السم وسقط جلده ، فقال :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه

ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو أنها نفس تموت سوية

ولكنها نفس تساقط أنفسا

واحتضر ببلدة من بلاد الروم تسمى أنقره ، فكانت أرضها محل نهايته ونهاية قصته كما قال :

رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجرة

وجفنـــــة متحـــيرة حلبـت بـــأرض أنقـــرة

ورأى قبر امــرأة فى ذلك الموطن ، أخبر أنهــا ماتت غريبــة مثـله فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب ، فقال :

أجـارتنـــا ان المــــزار قــريب وانى مقيـــم مـا أقـــام عسـيب

أجـارتنا انا غــريبان ها هنــا وكل غـــريب للغـــريب نسـيب

أجارتنا ما فــات ليس يئــوب ومـا هـــو آت فى الزمــان قـــريب

وليس غــريبا من تناءت دياره ولــكن مــن واراه التراب غــــريب

وهكذا نرى امــرأ القيس فى ذلك الشعر الرقيق منهزما أمام الموت ، يلقــاه غريبا ، بعيــدا عن دياره بعد أن مــلأ الدنيـــا صخبا بمغــامراته وأســفاره وأشعاره ، وها هو ذا يلتمس نســبا بامــرأة ماتت غريبة مثله ، وهو يعــلم أن ذلك النسب لا ينفــع ولا يشــفع ، ثم مات الشــاعر فدفن الى جنب تلك المــرأة ، فقبره هنـــاك .

* * *

٢ ـ بشر بن ابى خازم

أحد شعراء بنى أسد وفرسانها المقدمين ، يحفل شعره بالحماسة والفخر ، ويكثر فيه الحديث عن أيام بنى أسد وحروبها التى انتصرت فيها كما أن له شعرا فى المديح والهجاء والوصف والغزل والرثاء .

وله ديوان شعر مطبوع ، وقد عده ابن اسلام فى الطبقة الثانية من الفحول(١٢) .

كان بشر كثير الغزو والاغارة ، وفى احدى غزواته أصيب ابنته عميرة التى تخيلها ، منتظرة عودته ، مشتاقة الى أبيها ابنته عميرة التى تخيلها ، منتظرة عودته ، مشوقة الى أبيها وما يحمله معه من غنائم ، فهى تسال عنه زملاءه الذين كانوا معه فى الغزو ، وتبحث عنه بينهم .

يرسم الشاعر هذه الصورة لفتاته التى اعتادت أن يعود أبوها من كل غزواته سالما غانما ، لكنه يخبرها أنه لن يعود هذه المرة ، فيقول :

أسائلة عميرة عن ابيها   خلال الجيش تعترف الركابا

تؤمل ان أؤب لها بنهب   ولم تعلم بان السهم صابا

فرجى الخير وانتظرى ايابى   اذا ما القارظ العنزى آبا

والقارظ العنزى رجل من عنزة . قالوا انه خرج يطلب القرظ فهلك ولم يعد ، وبه يضرب المثل فى امتداد الغيبة واليأس من العودة ، وبشر بهذا البيت ، يريد أن يقطع رجاء ابنته فى عودته

---

(١٢) راجع بشر بن أبى خازم حياته وشعره ـ رسالة ماجستير مخطوطة ـ بكلية اللغة العربية ـ حسن أحمد عبد الحميد عبد السلام .

وأن يصرفها عن الأمل والانتظار . لكن الطريقة التى عبر بها الشاعر عن هذا المعنى توحى بالحسرة والحزن الشديدين ، وتدل على ما كان يعانيه الشاعر في ذلك الموقف الرهيب ، وهو يموت جريحا ويتذكر ابنته التي تنتظره وترجو عودته . ففى البيت الأخير تعبير عن الأمل المرجو بالنجاة والعودة يعقبه تعبير عن اليأس منهما ، طمع ثم يأس .. وكأن الشاعر يسخر من أمل ابنته في عودته . اذ يربط عودته بعودة القارظ العنزى وما دامت عودة القارظ مستحيلة فان عودة الشاعر مستحيلة كذلك .

فرجي الخير وانتظرى ايابى　　اذا ما القارظ العنزى آبا

ثم يسوق الشاعر الى ابنته خبر اصابته بسهم قاتل ، رماه به فتى من الأعداء يشتعل حماسا وفتوة ، ولم يرد الشاعر أن يترك ريبة فى نفس ابنته من ذلك الأمر ، فساق لها الخبر مؤكدا عن طريق استخدام الجملة الاسمية المؤكدة بأن ، وعن طريق التكرار ، فقال :

فان أباك قد لاقى غلاما　　من الأبناء يلتهب التهابا

وان الوائلى أصاب قلبى　　بسهم لم يكن يكسى لغابا

ثم يعين الشاعر لابنته مكانه الذى سيقبر فيه ، لعل أحدا يسأل عنه ، أو لعل أحدا يريد أن يزوره عند مثواه الأخير .

فمن يك سائلا عن بيت بشر
فان له بجنب الرده بابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى
فأذري الدمع وانتحبي انتحابا

ثـوى فى ملحـد لابـد منـه   كـفى بالمـوت نـايا واغتـرابا

ويرى الشاعر مصيره ويدرك أنه قد أصبح رهـين البلى والفناء ، فيطلب من ابنتـه أن تبكيه وتذرى الدمع وتنتحب من أجـله ، ولعله أراد أن يتعـزى ويتصـبر بذلك عن مصـيره الذى آل اليـه · نائيـا عن داره وأهـله وابنتـه ، غـريبا فى أرض بعيـدة غـربة ليس لها انقطـاع ولا منهـا رجـوع ·

كفـى بالمـوت نـايا واغتـرابا !

* * *

٣ ـ عبيد بن الأبرص

هو من شعراء الجاهلية القدماء ، وهو من بنى أسد ، كان معاصرا لامرىء القيس ، وكان من المعمرين ، وقد قتله المنذر بن امرىء القيس اللخمى بن ماء السماء فى يوم بؤسه ، فقد كان لهذا الملك يوم بؤس ويوم نعيم ، وكان يقتل أول من رأى فى يوم بؤسه ، فخرج فى يوم بؤسه فلقى عبيدا ، فقال له : هلا كان المذبوح غيرك يا عبيد ؟! فقال : (أتتك بحائن رجلاه) فقال له : (أنشدنا يا عبيد) ، فقال (حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطبيين) فقال الملك أنشدنى فقال : (المنايا على الحوايا) فقال بعض القوم : (أنشد الملك هبلتك أمك) ، فقال : (وما قول قائل مقتول ؟) وقال آخر : (ما أشد جزعك بالموت) فقال : (لا يرحلن رحلك من ليس معك) فقال الملك قد أمللتنى فارحنى قبل أن آمر بك فقال عبيد : (من عز بز) فقال الملك : أنشدنا قولك : أقفر من أهله ملحوب فأنشده :

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد

وقد صار هذا البيت مثلا فى الهلاك . ثم قال الملك لعبيد : لابد من الموت فاختر ان شئت من الأكحل ، أو من الأبجل ، أو من الوريد ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شر وراد ، وحاديها شر حاد ، ومعادها شر معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، وعند قتله قال :

وخيرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه

خصالا أرى في كلها الموت قد برق

كما خيرت عاد من الدهر مرة
سحائب ما فيها لذى خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل ببلدة
فتتركها الا كما ليلة الطلق(١٣)

* * *

(١٣) راجع خزانة الأدب للبغدادي ، ت : هارون ج ٢ ص ٢١٧ - الخانجي.

٤ ـــ عبـد يغـوث الحـارثى

هو عبد يغوث بن صـلاءة ، من بنى الحارث بن كعب من كهلان ، من اليمن (عرب الجنـوب) كان رجـلا عظيم الجسـم جميـلا ، وكان كـريما وفارسـا معدودا وسيدا فى قـومه ، قـاد قـومه يـوم الـكلاب الثـانى على بنى تميم وأحـلافهم ، فقتـل وأسـر من قـومه عدد كبير ، ثم وقـع هو فى الأسر •

وأراد عبد يغـوث أن يفتدى نفسـه بمائة من الابل ، ولكن بنى من بنى الحـارث فـارس معـدود ، فلابد من قتـل عبد يغـوث بالنعمان فكان مقتـل عبد يغـوث فى عام ٦١٣ م قبـل الهجرة بنحو عشر سنين •

ولـمـا عـزم بنـو اليتم على مقتـل عبد يغـوث شـدوا لسـانه بنسعة مخـافة أن يهجوهم ، فقال : انكم قاتلى ولابد ، فدعـونى أذم أصـحابى وأنوح على نفسى ، فقالوا : انك شـاعر ونخـاف أن تهجونا ، فعقـد لهم الا يفعـل • فاطلقوا لسـانه ، وأمهلوه حتى قال قصـيدته التى رثى فيهـا نفسـه(١٤) ، وبدأها بدفـع المـلامة والذم عن نفسـه ، ونفى تهمـة التقصـير عنهـا ، وقـرر ان اقدامه وجـرأته هما سـبب وقـوعه فى الأسـر ، ولو كان جبـانا لفـر على فرسـه السريعـة ونجـا بنفسـه ، وهو اذ يقـرر ذلك يلوم قـومه ويعتب عليهم • لكنه فى الوقت نفسـه يعترف بأنه لا خيـر فى اللوم له ولا لهم ، وينصرف الى نفسـه يصـور معاناتها الرهيبـة فى الأسر ومواجهة الموت ، يقول عبد يغوث :

---

(١٤) راجع : قصيدة عبد يغوث وقصة أسره فى العقد الفريد ج ٥ ص ٢٢٨ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت •

الا لا تلومـــانى كـفى اللــوم ما بيـــا
فما لـكما فى الـلوم خيـر ولا ليـا (١٥)

الـم تعلمـــا أن المـلامـــة نفعهـــا
قليـل ، وما لومى اخى من شماليا (١٦)

فيـا راكبـــا امـــا عــرضت فبلغـــن
نداماى من نجـران أن لا تلاقيـا (١٧)

جــزى الله قـــومى بالـكلاب ملامـــة
صريحهم والآخـــرين المـتواليـــا

ولـو شـئت نجتنى مـن القـوم نهـــدة
ترى خلفها الحـو الجيـاد تواليـا (١٨)

ولـكننى أحمــــى ذمـــــار أبيـــكم
وكاد الرمـــاح يختطفن المحاميـا (١٩)

ثم يصـور الشـاعر فعـل آسريه به ، ويحكى ما دار بينـه وبينهم من حديث ، فقد توسـل اليهم أن لا يربطـوا لسـانه ، وطلب منهم أن يخـلوا سـبيله ، بعد أن ملـكوه وأصبح أسـيرا لديهم ، ويؤكد لهم أنه برىء من دم صاحبهم النعمـان بن الحسحاس وأنه لم يقتـله ، ويعـرض

---

(١٥) فى شرح المفضليات القسم الثانى ص ٦٠٧ قصيدة عبد يغـوث وشرحها ، ومنه نقلت هذا الشرح • يقول : كفى اللوم ما أنا فيه ، فلا تحتاجون الى لومى ، مع ما ترون من اسارى وجهدى •

(١٦) شمال ، بالكسر : بمعنى الخلق • والجمع شمائل •

(١٧) عرضت : تعرضت وظهرت ، وقيل معناه : بلغت العروض وهى جبال نجد • وهؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكـرهم عند موته وحـن اليهم •

(١٨) النهدة : المرتفعة الخلق ، وكل ما ارتفع يقال له : قد نهـد والحواء من الخيل التى تضرب الى خضرة • وتواليا : أى تتلوها •

(١٩) الذمار : ما يجب منعه وحفظه ، من منع جار ، أو طلب ثار ، ويختطفن : يختلسن •

عليهم أن يأخذوا مـالا فدية له ، لكنهم رفضوا . يقول عبد يغوث :

أقـول وقد شـدوا لسـانى بنسـعة
أمعشـر تيـم أطلقـوا عن لسـانيا

أمعشـر تيـم قـد ملكـتم فأسـجحوا
فـان أخـاكم لم يكن مـن بوائيـا

فـان تقتـلونى تقتـلوا بى سـيدا
وان تطلقـونى تحـربونى بماليـا(٢٠)

وتكـرار النداء فى قـوله (أمعشر تيم) فى الأبيات السـابقة يدل على تلهف الشـاعر على أن يستجيب آسروه لطلبـه ، وأن يسمعوا لقوله ، وعلى تعلـق الشـاعر بالأمـل فى أن يعفـوا عنـه ورجـائه النجـاة وحرصـه عليهـا .

ان الشـاعر في هذا الوقت العصيب يدرك ان خطوات معدودة بينه وبين المـوت وهو فى تعلقـه بالحيـاة وحرصـه عليهـا لا يملك غيـر أن يستعيد ذكـرياته الحـلوة يسـلى بها نفسـه ، ويتسـاءل متعجبـا : أحقـا حانت لحظـة الوداع ، فلن يسـمع بعد أناشيد الرعـاة ؟ ويا لهـا من مـرارة يحسها ذلك الشـاعر الفـارس عنـدما تسـخر منـه امـرأة عبشمية ، وتعيره بالأسر .

فقد قيـل ان الذى أسر عبد يغـوث هو عصمة بن أبيـر التيمى وانه

---

(٢٠) أقول وقد شدوا .. الخ هذا مثل واللسان لا يشد بنسعة ، وانما أراد افعلوا خيرا ينطق لسانى بشكركم ، فانكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود لا أقدر على مدحكم ، وقال أبو عبيدة : كانوا قد شـدوا لسانه مخافة هجائه ، فجعل لهم الا يهجوهم ، فاطلقوا لسانه . أسجحوا : سهلوا ويسروا فى أمرى . يقول : لم أقتـل صاحبكم ولست له بواء . أى لم يكن أخوكم نظيرا لى فاكون بواء له .

خبأه عند رجـل يسمى الأهتم ، فوضعه الأخيـر عند امرأته العبشمية ؛ حتى أخـذه بنو الحسحاس ليقتلوه .

وروى أن امـرأة الأهتم أعجبها جمـال عبد يغـوث وكمال خلقه ، وكان عصـمة الذى أسره غـلاما نحيفـا ، فقالت المـرأة لعبد يغـوث من أنت ؟ فقال : أنا سيد القـوم . فضحكت وقالت : قبحك الله سـيد قـوم حين أسرك مثـل هذا !(٢١) .

يصـور عبد يغوث كل ذلك فيقول :

أحقـــا عبــاد الله أن لسـت سـامعا
نشـيد الـرعاء المعــزبين المتـاليا(٢٢)

وتضــحك منى شـيخة عبشـمية
كـأن لـم تـرى قبلى أسيرا يمانيا

ويذكـر الشـاعر فى خضم محنتـه زوجتـه مليـكة ، وكان سخرية العبشمية منـه جعلتـه يخشى أن يهـون فى عين امـرأته فاراد أن يذكرها بما تعلمـه عنـه من شجاعة وبطولة ، ثم يتذكـر الشـاعر طـرفا من مآثره السـالفة ، يتعـزى بذلك عما وقـع له وحل به ، فيقول :

وقـد علمـت عـرسى مليـكة أننى
أنا الليث معـدوا عليـه وعـاديا
وأعقـر للشـرب الكـرام مطيتـى
وأصـرع بـين القينتـين ردائيـا

---

(٢١) أنظر العقد الفريد : جـ ٥ ص ٢٢٨ .
(٢٢) المعزب : المتنحى . المتالى : قد نتج بعضها وبقى بعض .

وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا
لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية سوم الجراد وزعتها
برمحى وقد أنحوا الى العواليا
كأنى لم أركب جوادا ولم أقل
لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا(٢٣)

ذلك هو الماضى الذى يفخر به الشاعر ، ويتعزى به عما حدث له ، وحسبه أن مليكة تعرف شيمه وأخلاقه ، ولابد أنها ستعذره وتدرك أن أسره كان بسبب جرأته واقدامه ، ويشهد له ماضيه ، فهو الشجاع الكريم ، كان نحارا للجزور ، يعقر لأصحابه وندماه مطيته ، ويشق بين القينتين فى مجالس اللهو والطرب رداءه ، وكان صاحب رحلات وأسفار يقطع القفار الموحشة وينزل الأماكن المخوفة ، ويمضى فى الأماكن التى لا يجرؤ أحد على السير فيها ، وكان فى الحروب فارسا لا يشق له غبار ، خبيرا بتصريف القناة ، قادرا على انقاذ زملائه من الشدائد ، وتنفيس كرب الحرب عنهم ٠

وعبد يغوث وهو يذكر تلك المآثر يعبر بصيغة الماضى ٠ لكنه يعود الى حاضره ، فها هو ذا يواجه الموت وتوشك حياته على

---

(٢٣) الشرب : جمع شارب ٠ كصاحب وصحب ٠ السباء : اشتراء الخمر للشرب لا للبيع ٠ والأيسار : الذين يضربون القداح ٠

نهايتها ، فيشعر بأن كل ما كان من مجـد وبطولة ذهب هبـاء فلم يشفع له منيه شيء . ولم يغن عنه ماضيه فى محنـة أسره وقتـله شـيئا ، ذلك ما عبر عنــه فى نهاية قصيدته اذ يقول :

كانى لـم اركـب جـوادا ولـم أقـــل
لخيـــلى كـــرى نفسى عـن رجـــاليــا

ولـم أســبأ الـزق الـروى ولـم اقـــل
لأيســـار صـــدق أعظمـوا ضـوء ناريا



٥ — عمرو بن قميئة

هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك ، أحد بنى ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة من بنى بكر بن وائل ٠

مات أبوه وهو صغير ، فكفله عمه مرثد بن سعد ، وكان عمرو جميلا فافتتنت به زوجة عمه ، لكنه أبى عليها ، فدبرت له مكيدة انتقاما منه ، وزعمت لزوجها ان عمرا ابتغاها ، وخاف عمرو سطوة عمه ، فهرب الى الحيرة ، ولجأ الى المنذر بن ماء السماء ، وقال شعراً مدح فيه عمه ، وتبرأ فيه مما الصقته به زوجة ، فلما رضى عنه عمه عاد الى قومه ٠

وخدم عمرو بن قميئة الملك حجر بن الحارث والد امرىء القيس ، واصطحبه امرؤ القيس فى رحلته الى بلاد الروم ، وهو المعنى بقول امرىء القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وكان عمرو أثناء هذه الرحلة طاعنا فى السن ، ويبدو أن بكاءه كان اشفاقا على نفسه الضعيفة ، وخوفا من الموت فى الغربة ٠

وقد توفى أثناء هذه الرحلة ، وسمته العرب عمرا الضائع وكانت وفاته قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (٢٤) ٠

وقد وصف عمرو فعل الدهر به ، ورميه اياه بالمصائب ، وعجزه وذهاب قوته بسبب كبر سنه ، وأخبر أن الناس يأخذهم

---

(٢٤) راجع تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ ج ١ ص ١١٤ ٠
والشعر والشعراء ص ٢٣٨ ٠

العجب عندما يرونه بهذا الوصف ، ويتساءلون فى دهشة : ألم تكن جليدا قويا ! .

وفى حسرة وتعجب من انصرام الأيام وانقضاء الأعوام يصف عمرو بن قميئة ما فعلته به أحداث الدهر ، وفى دقة وبراعة يصور هيئته عندما يروم القيام ، فيتسند على عصاه مرة وعلى راحتيه أخرى ، ويقوم فيتعثر فى محاولاته حتى ينهض بعد ثلاث مرات .

يقول عمرو بن قميئة (٢٥) :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برام

وأهلكنى تأميل ما لست مدركا
وتأميل عام بعد ذاك وعام

وإذا ما رآنى الناس قالوا : ألم تكن
جليدا حديث السن غير كهام

فلو أننى أرمى بنبل رميتها
ولكننى أرمى بغير سهام

على الراحتين مرة وعلى العصا
أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة
خلعت بها عنى عذار لجامى

---

(٢٥) راجع تاريخ الأدب العربى - فروخ جـ ١ ص ١١٤ . ويعنى بقوله تأميل مالست مدركا الخلود . والكهام : السيف الكليل الذى لايقطع ، والبيت الأخير معناه أن العمر انقضى بسرعة وكأنه مقدار ما يخلع الرجل اللجام من رأس دابته .

ويبدو أن كل المعمرين تنتابهم تلك المشاعر المتناقضة يسأمون الحياة ، ويستقلون مدتها فى آن ٠

كما يقول أكثم بن صيفى حكيم العرب وخطيبهم فى الجاهلية :

وان امرءا قد عاش تسعين حجة
الى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مئتان غير ست وأربع
وذلك من عد الليالى قلائل

لكن الموت خير من حياة المرض والعجز على أية حال ، وأى قيمة لرجل مله أهله وبنوه ، وأصبح قعيد البيت يقضى الأمر حين يغيب ولا يستشار وهو حاضر ، ولا يجلس معه الا أحفاده الصغار يلاعبهم ويلاعبونه ٠ عندئذ يكون الموت أفضل من الحياة على نحو ما يلقانا فى قول المستوغر (٢٦) :

اذا ما المرء صم فلم يناجى
وأودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشى بنى بنيه — كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه — من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا — ولا يسقى من المرض الشفايا
فذاك الهم ليس له دواء — سوى الموت المنطق بالمنايا

وكما فى قول زهير بن جناب الكلبى (٢٧) :

والموت خير للفتى — وليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ البجا — ل وقد يهادى بالعشية

---

(٢٦) طبقات فحول الشعراء ص ٣٤ ٠
(٢٧) المصدر نفسه ص ٣٧ ٠

٦ ـ الأسود بن يعفر

هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم من بنى تميم ، كان أحد شعراء العصر الجاهلى وفرسانه ، أسر امرأة من بني نهد فى غارة ، وتزوجها ، كان كثير الترحال والأسفار(٢٨) ، سمى الأسود ذا الآثار لأنه ما هجا أحدا الا ترك فيه أثرا من هجائه ، وهو مجيد غير مكثر ، اختار المفضل الضبى له قصيدتين ، وترجم له ، وفى هامش شرح المفضليات للتبريزى قال : « كان الأسود شاعرا فحلا متقدما فصيحا من شعراء الجاهلية يكثر التنقل فى العرب ويجاورهم ، فيذم ، ويحمد ، وله فى ذلك أشعار »(٢٩) .

وقد كبر الأسود ، وكف بصره ، وتوفى سنة ٥٨٥ م تقريبا وقصيدته التى أثبتها هنا قال عنها ابن اسلام :

« وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته »(٣٠) وهى التى رثا فيها نفسه ، واشتكى فى أولها الهم والسهد اللذين لازماه فمنعاه النوم ، وبين أن الحوادث قد عمت عليه أمره ، وسدت عليه سبله ، فأصبح لا يهتدى الى غاية ، وهذه هى القصيدة وشرحها :

١ ـ نام الخلى وما أحس رقادى

والهم محتضر لدى وسادى

الخلى : الخالى من الهموم ، وقوله ما أحس : أى لا أجد منه أثرا . محتضر : حاضر .

---

(٢٨) أنظر : فروخ ، تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ١٥٨ .
(٢٩) شرح المفضليات : القسم الثانى ص ٠٠٠ .
(٣٠) طبقات فحول الشعراء : ص ١٤٧ ، ط شاكر .

٢ - من غير ما سقم ولكن شفني
هم أراه قد أصاب فؤادي

يقول : سهرت من غير علة ، ومعنى شفني : أذابني ؛ وذلك لضعفه وكبره وعماه .

٣ - ومن الحوادث لا أبالك أنني
ضربت على الأرض بالأسداد

الأسداد : جمع سد . أي عمي على أمري ، فصرت لا أتجه جهة . فكأن المسالك مسدودة علي .

٤ - لا أهتدي فيها لموضع تلعة
بين العراق وبين أرض مراد

ثم يتعزى الشاعر بذكر من سبقوه ، وقد كانوا أشد منه قوة وأكثر جمعا ، وينتظر أن يكون سبيلهم سبيله ومصيرهم مصيره ، وهو الموت الذي لا يدفعه دافع .

لقد هلك من قبله ذو الأعواد عزيز قومه الذي عمر طويلا ، ومات آل محرق وآل إياد ، وأهل الخورنق والسدير وبارق ، وفنى كعب بن مامة مضرب المثل في الجود ، وأبو دؤاد الأيادي الشاعر المعروف . لقد هلكوا جميعا ولم يمنعهم من الموت مانع .

٥ - ولقد علمت سوى الذي نبأتني
أن السبيل سبيل ذي الأعواد

قال أبو عبيدة : ذو الأعواد : جد أكثم بن صيفي ... كان معمرا ، وكان من أعز أهل زمانه ، فاتخذت له قبة على سرير ، فلم يأته خائف إلا أمن ، ولا ذليل إلا عز ، ولا جائع إلا شبع . فيقول : لو أغفل

الموت أحدا لاغفل ذا الاعواد ، واذا كان مصيره الى الفناء فمن دونه مثله .

٦ ـ أن المنيــة والحتــوف كلاهمـا
يـوفى المخـارم يرقبـان سـوادى

يوفى : يعلو وهو مردود على لفظ (كلا) فافرد . والمخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ، والغلظ . ويرقبان بالتثنية ـ على المنية والحتوف . والسواد : الشخص . يريد أن المنية والحتوف ترقبه .

٧ ـ لـن يرضـيا فى وفـاء رهينـة
مـن دون نفـسى طـار فى وتـلادى

الطـارف : ما استفاده الرجل . والتالد : ما ورثه عن الآباء .

والمعنى : أن المنية والحتوف لن يرضيا كل ما أملك فداء لنفسى .

٨ ـ مـاذا أؤمـل بعـد آل محـرق
تـركـوا منـازلهـم وبعـد ايـاد

٩ ـ أهـل الخـورنق والسـدير وبـارق
والقصـر ذى الشـرفات مـن سنداد

١٠ ـ ارضـا تخيـرها لطيب مقامها
كعـب بـن مـامة وابـن أم دؤاد

١١ ـ جـرت الرياح على محـل ديارهم
فـكأنمـا كـانوا عـلى ميعـاد

١٢ ـ ولقـد غنـوا فيهـا بأنعم عيشـة
في ظـل مـلكٍ ثـابت الأوتـاد

غنوا : أقاموا ، يقال : غنينا بمكان كذا وكذا اذا أقاموا به ، والمغنى : المنزل •

١٣ ـ نزلوا بأنقرة يسيل عليهم
ماء الفرات يجيء من أطواد

الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل •

١٤ ـ فاذا النعيم وكل ما يلهى به
يوما يصير الى بلى ونفاد

والمعنى : كانوا كذلك ، ففاجأتهم الأحداث بما حولهم وشغلهم عن ملاهيهم ، وانتهى جميعه الى البلى والزوال •

ويجد الشاعر فى أولئك وغيرهم ممن رماهم الدهر بسهامه ، وأذهب نعيمهم وقوتهم العبرة والسلوى ، فيقول :

١٥ ـ فى آل غرف لو بغيت لى الأسى
لوجدت فيهم أسوة العداد

١٦ ـ ما بعد زيد فى فتاة فرقوا
قتلا ونفيا بعد حسن تآد

زيد : قبيلة • قال أبو عبيدة : كان المنذر بن ماء السماء خطب على رجل من اليمن من أصحابه امرأة من بنى زيد بن مالك بن حنظلة ، فأبوا أن يزوجوه ، فنفاهم من أرضه ودياره ، وفرقهم • وقوله : بعد حسن تآد : أى بعد تمكنهم •

١٧ ـ فتخيروا الأرض الفضاء لعزهم
ويزيد رافدهم على الرفاد

وذلك قبل أن يصابوا • والرفد : العطية •

ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عن نفسه ، مخاطبا زوجه قائلا :

ان رأيتني الآن قد شخت وكبرت سني ، وذهب شبابي ، وضعفت قوتي ، وغير هيئتي ما حل بجسمي من وهن ، وما أصاب بصري من نقص ، وتركت مرافقة الشبان ، وصرت منقادا لا حول لي ولا قوة ، فما يزال عندي بقية من ماض وبعض مال وقوة ، فاني أروح الى بيوت الخمارين ، مرجلا شعري ، مستمتعا بما بقي من شبابي ومالي ، واذا كان ذلك حاضري فاني أذكرك بما حفل به ماضي حياتي من لهو ومن جد ، فكم استمتعت بالخمر وبالنساء ، وكم سافرت وترحلت ، وركبت الخيل والنوق ، ورعيت الخصب ، واقتنصت الوحوش ٠

بهذا الماضي يسلي الشاعر نفسه ، ويرد تلوم زوجته ، فيقول :

١٨ ـ اما تريني قد بليت وغاضني

ما نيل من بصري ومن أجلادي

١٩ ـ وعصيت اصحاب الصبابة والصبا

واطعت عاذلتي ولان قيادي

٢٠ ـ فلقد أروح على التجار مرجلا

مذلا بمالي لينا اجيادي

(المذل : كل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه) ٠

٢١ ـ ولقد لهوت وللشباب لذاذة

بسلافة مزجت بماء غواد

٢٢ ـ من خمر ذي نطف اغن منطق

وافى بها لدراهم الاسجاد

(ذي نطف ٠٠٠ الخ : بياع الخمر من العجم ، في صوته غنة ، وفي وسطه منطقة ، أتي بالخمر ليبيعها بدراهم الأكاسرة ٠ قال

الأصمعي : « دراهم الاسجاد كانت عليها صور يكفرون لها ويسجدون » .

٢٣ - يسعى بها ذو تومتين مشمر
قنأت أنامله من الفرصاد

التومتان : اللؤلؤتان . والجمع : توم . وقد عنى به ساقيا من المجوس ، ومعنى قنأت : احمرت . شبه حمرة لون الشراب بحمرة الفرصاد وهو صبغ أحمر .

٢٤ - والبيض تمشي كالبدور وكالدمى
ونواعم يمشين بالأرفاد

وصف مجلس الشرب بأنه اختلط بهم نساء كالبدور حسنا ، وكالدمى وهى الصور ، والنواعم ذوات النعمة ، والأرفاد : جمع رفد ، وهى العطية . وانما جعلهن كذلك اذ كن يحملن خلع الندامى فيلقينها عليهم .

والبيض يرمين القلوب كأنها
أدحى بين صريمة وجماد

قصد الى تشبيه النساء ببيض النعام .

٢٥ - ينطقن معروفا وهن نواعم
بيض الوجوه رقيقة الأكباد

٢٦ - ينطقن مخفوض الحديث تهامسا
فبلغن ما حاولن غير تناد

قال الأصمعى : « يبلغن من الرجال ما أردن بأيسر سعى » .

ولما فرغ من ذكر ما تمتع به فى ماضيه من لهو بالنساء وسكر ، مما يدل علي أنه كان فتي غنيا مرفها ، ذكر ما حفل به

شبابه الذاهب وماضيه المنصرم من شجاعة واقدام ومنعة مكنته من نزول المراعى الخصبة التى تجرى بها المياه غير خائف ولا مترقب ، واتخاذ أماكن فى حماه لا ينازعه فيها أحد .

ولقد كان يستخدم فى أسفاره ورحلاته فرسا جيدا طويل القوائم ، لا يفوته الوحش ، أو ناقة شديدة سريعة .

ويبدو أن تذكر الشاعر للهوه ومتعته لم يكن كافيا ليتعزى به ويتصبر ، فجمع اليه الحديث عن الشجاعة والعز والمنعة ، محاولا أن يتسلى عما أصابه من ضعف فى قوته وبصره بعد أن أدركه الكبر ، فقال :

٢٧ - ولقد غدوت لعازب متناذر
أحوى المذانب مؤنق الرواد

أراد بالعازب كلأ ، والعازب : المتنحى ، وقوله : متناذر : أى يتناذره الناس للخوف منه ، والمذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل ماء صغير من الحرة الى الوادى ، والأحوى : الذى اشتدت خضرته حتى يضرب الى السواد . والمؤنق : المعجت . والرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرود البلاد فى طلب المرعى .

٢٨ - جادت سواريه وآزر نبته
نفأ من الصفراء والزباد

الصفراء والزباد : ضربان من العشب ، والنفأ : نبت .

٢٩ - بالجو فالأمرات حول مغامر
فبضارج فقصيمة الطراد

هذه مواضع مما اتخذه حمى تنقل فيه لعزه .

٣٠ - بمشمر عتد جهيز شده
قيد الأوابد والرهان جواد

المشمر : الفرس الطويل القوائم • والعتد : الذى عنده عدة للجرى ، والجهيز : الكثير • والاوابد : الوحش •

٣١ ـ يشوى لنا الوحد المدل بحضره
بشريج بين الشد والايراد

الوحد : الثور أو الحمار الذى ليس مثله شىء من جنسه ، قد فاق قرناءه أى هذا الفرس من شدة عدوه يلحق أشد الوحش عدوا ، وقوله : يشوى لنا كأنه لما صاده هو شواه • والمدل : المفتخر المباهى • والحضر : العدو • والشريج : الخليط •

ولما وصف فرسه انتقل الى وصف ناقته ، فقال :

٣٢ ـ ولقد تلوت الظاعنين بجسرة
أجد مهاجر السقاب جماد

الأجد : المؤنقة الخلق • والسقاب : جمع سقب ، وهو ولد الناقة ساعة تلقيه اذا كان ذكرا • والأنثى حائل • وقوله : مهاجرة السقاب : أى ليست مما يلقح ، فهو أصلب لها ، والجماد القوية •

٣٣ ـ عيرانة سد الربيع خصاصها
ما يستبين بها مقيل قراد

العيرانة : التى تشبه بالعير فى صلابتها وسرعتها • سد الربيع خصاصها : أسمنها بعد الهزال فامتلأت سمنا ، وأصل الخصاص : الفرج بين الشىء •

وبعد هذا التفصيل فى ما حفل به ماضى الشاعر من مآثر ، يعود الشاعر الى حاضره الذى فقد فيه كل شىء بعد أن شاخ وهرم ، فلا يجد شيئا مما كان له ، فالفناء طبيعة الأشياء ، ومن شأن الدهر اتباع الصلاح بالفساد ، والخير بالشر ••

٣٤ ـ فـاذا وذلك لا مهـــاه لذكـــره
والدهـــر بعقب صـــالحا بفســـاد

وهكذا ينهى الشاعر قصيدته بذكر السبب والعلة فيما صوره في بدايتها من هم مقيم وحزن ملازم وأرق دائم .

* * *

٧ ـ يزيد بن خذاق

يزيد بن خذاق شاعر جاهلى قديم من شعراء عبد القيس ، و (خذاق) فعال من قولهم : خذق الطائر وخزق ، اذا رمى بذرقه ، وكان يزيد هجا النعمان بن المنذر ، فبعث اليهم النعمان كتيبة يقال لها (دوسر) فاستباحتهم ، وكان له أخ شاعر اسمه سويد ، وليزيد شعر فى الحماسة والفخر والهجاء .

وقصيدته فى رثاء النفس وردت فى المفضليات ، وتنسب للممزق العبدى أيضا ، لكن نسبتها الى يزيد أقوى بدليل أن المفضل يثبتها صراحة له ويضيف « وتروى للممزق »(٣١) ـ كما أن ابن قتيبة نسبها اليه فى الشعر والشعراء وقال : « قال أبو عمرو بن العلاء : أول شعر قيل فى ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق .. »(٣٢) .

ودليل آخر من النص نفسه ، وهو أن اسم الشاعر ورد فى تلك القصيدة فى البيت الثالث منها . وهذه هى القصيدة :

١ ـ هل للفتى من بنات الدهر من واق

أم هل له من حمام الموت من راق(٣٣)

٢ ـ كأننى قد رمانى الدهر عن عرض

بنافذات بلا ريش وأفواق(٣٤)

---

(٣١) شرح المفضليات القسم الثانى ص ١٠٥٥ .
(٣٢) الشعر والشعراء ص ٢٤٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
(٣٣) بنات الدهر : أحداثه ومصائبه . والحمام : الدنو . والراقى : من الرقية .
(٣٤) الأفواق : جمع فوق ، وهو مجرى الوتر من السهم .

٣ ـ أذ غمضونى وما غمضت من وسن
وقال قائلهم أودى ابن خذاق(٣٥)

٤ ـ ورجلونى وما رجلت من شعث
والبسونى ثيابا غير أخلاق(٣٦)

٥ ـ ورفعونى وقالوا أيما رجل
وأدرجونى كأنى طى مخراق(٣٧)

٦ ـ وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا
ليسندوا فى ضريح الترب أطباقى(٣٨)

٧ ـ هون عليك ولا تولع باشفاق
فانما ما لنا للواحد باقى

لقد استهل الشاعر قصيدته باستفهام يؤدى معنى النفى ، ويوحى بالتعجب من أمر الدهر ومصائبه التى لا يدفعها عن المرء دافع ، ومن أمر الموت الذى لا تنفع معه رقية .

لقد أيقن الشاعر أن لا وقاية من بنات الدهر ، ولا رقية من حمام الموت . ويشكو ما رماه به الدهر من مصائب كالسهام النافذة ، وهل هناك أعظم من مصيبة الموت اذ يخرج الانسان من دنياه وأهله وماله وولده ـ رغم أنفه ـ ثم يفضى الى ما قدم من عمل ؟ .

---

(٣٥) الوسن : النوم . أودى : هلك .
(٣٦) الترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه ، والشعث ضد ذلك ، غير أخلاق : أى غير ممزقة .
(٣٧) طى مخراق : هو المئزر الذى يلويه الصبيان ، يضرب بعضهم به بعضا .
(٣٨) أرسلوا فتية : يعنى ليحفروا قبره . الأطباق : المفاصل .

ويستحضر الشاعر ساعة موته ، ويتخيل أهله يتجمعون حوله : يغمضون عينيه ، ويتكلمون بشأنه ، وينقل بعضهم الى بعض نبأ وفاته (أودى ابن خذاق) ٠

ثم يصلحون من هيئته ، فيرجلون شعره ، ويلبسونه كفنه ، ثم يرسلون فتية من أفضلهم ليشقوا له لحده ، وينتظروه عند مثواه الأخير ، لينزلوه فيه برفق وتؤدة ٠

ويتخيل الشاعر جنازته ، وقد حمله الرجال على أعناقهم جثة هامدة لا حراك فيها ، مسلوب القوة والارادة ٠ كأنه المئزر المطوى الذى يضرب به الصبيان بعضهم بعضا ٠

والبيت الأخير محاولة للتعزى والتجلد فى مواجهة هذا المصير استنادا الى حقيقة ثابتة ، اهتدى اليها بعض الجاهليين ، وأكدها الاسلام ، وهى أن الله سبحانه وتعالى ، هو وحده الباقى الذى لا آخر لوجوده ، وأن الناس جميعا يموتون ، ثم الى ربهم يحشرون ٠

* * *

٨ ـ صخر بن عمرو بن الشريد

هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من بنى سليم بن منصور ، من قيس عيلان ، كان فارسا شجاعا كثير الغزو ، أنضجته حروب الجاهلية وغاراتها ، ثم كان ضحية من ضحاياها .

كان له أخ اسمه معاوية قتله هاشم بن حرملة أحد بنى مرة بن غطفان ، فقال صخر : « والله ما بت منذ عقلت الا واترا أو موتورا ، أو طالبا أو مطلوبا ، حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده »(٣٩) وغزا واتريه ، فأخذ بثأر أخيه وشفا نفسه .

وفى يوم ذات الأثل غزا صخر بنى أسد بن خزيمة واكتسح ابلهم ، فأتى الصريخ بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ـ (وهى موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة) ـ فاقتتلوا قتالا شديدا ، فطعن ربيعة بن ثور الأسدى صخرا فى جنبه ، وظل صخر مريضا بسبب هذه الطعنة قريبا من الحول ، حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته : كيف بعلك ؟ قالت : لا حى فيرجى ولا ميت فينسى ، لقد لقينا منه الأمرين .

وكانت تسأل أمه كيف صخر ؟ فتقول أرجو له العافية ان شاء الله ، فقال فى ذلك(٤٠) :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى

وملت سليمى مضجعى ومكانى

---

(٣٩) أنظر العقد الفريد : ج ٥ ص ١٦٤ .
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٦٦ . والأغانى ج ١٣ ص ١٣١ ، ط. بيروت . والشعر والشعراء ص ٢١٤ ـ بيروت .

فأى امرىء ساوى بأم حليلة

فلا عاش الا فى شقى وهوان

وما كنت أخشى أن أكون جنازة

عليك ومن يغتر بالحدثان

لعمرى قد نبهت من كان نائما

وأسمعت من كانت له أذنان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه

وقد حيل بين العير والنزوان

فلو أن حيا فائت الموت فاته

اخو الحرب فوق القارح العدوان

والأبيات صرخة مريرة ، يطلقها رجل يموت جريحا على فراشه ، وقد سمع زوجه تتضجر منه ، وتتمنى أن تستريح بوفاته ، بعد أن ملت عيادته ، ويتذكر الشاعر ماضيه الذى كان فيه ملء السمع والبصر ويتحسر على ضعفه ومرضه ، ثم يتسلى بالشعر ، معلنا أنه لو كان أحد يفوت الموت لفاته الفرسان وفروا منه حينما يبدو لهم قريبا منهم ، لكن كم من فارس لم ينجه من الموت فرسه ، ولا رمحه ولا سيفه ؟! فالموت مصير كل حى .

ولما طال البلاء على صخر ، وقد نبأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة ، قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم . فقطعوها فمات .

وفى الأغانى أنه قبل موته سمع الخنساء أخته تقول : كيف كان صبره ؟ فقال :

أجــارتنا ان الخطــوب تنــوب　　على الناس كل المخطئين تصيب

فان تسالينى هل صبرت فاننى　　صــبور على ريب الزمان صليب

كأنى وشد أدانــو الى شــفارهم　　من الصــبر دامى الصفحتين ركوب

اجــارتنا لست الغــداة بظــاعن　　ولــكن مقيــم ما أقــــام عسيب

(وعسيب : جبــل بأرض بنى سـليم الى جنب المدينــة ، وقبــر صــخر هنــاك)(٤١) ٠

وصخر هو أخو الخنســاء الذى أكثرت القول فى رثائه ، ولها فيه :

وقــائلة والنعــش قــد فــات خطــوها　　لتدركــه يا لهــف نفــسى على صـــخر

الا ثكلــت أم الــذين غــــدوا بـــه　　الى القبـــر مــاذا يحمــلون الى القبــر

* * *

(٤١) الأغانى : ج ١٣ ص ١٣١ ٠

٩ ـ مخارق بن شهاب

هو مخارق بن شهاب ، من بنى مازن ، عاش زمن النعمان ابن المنذر ، وكان سيدا كريما (٤٢) ٠

قال مخارق يذكر قول الناس عنه اذا مات :

كم شامت بى أن هلكت وقائل
لا يبعدن مخارق بن شهاب(٤٣)
المشترى حسن الثناء بماله
والمالىء الجفنات للأصحاب
مأوى الأرامل والضريك اذا اشتكى
وثمال كل معيل قرضاب(٤٤)
وأخى اخاء قد غدا متقلدا
سيفا وراحلتى له وثيابى

والشاعر فى هذه الأبيات يعتز بذكره الطيب وحسن سيرته بعد موته ، فالناس سيذكرون له أنه كان ينفق ماله فى المكرمات ، ويملأ جفنات الطعام لأصحابه ، وأنه كان غياثا للفقراء ، سندا للضعفاء ، مأوى الأرامل ، شهما جوادا ، لا يبخل على ضيفه بشىء ٠

* * *

---

(٤٢) ترجمته ، والأبيات فى شعر بنى تميم فى العصر الجاهلى ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحميد محمود المعينى ص ٣٩٧ ٠ من منشورات نادى القصيم الأدبى ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ٠

(٤٣) لا يبعدن : دعاء بعدم البعد والموت ٠

(٤٤) الضريك : الفقير ٠ القرضاب : الذي لا شىء عنده ٠ والثمال : الغياث والعماد ٠

١٠ ـ عبـاد بـن شـداد

هو عباد بن شـداد بن عبيـد بن ثعلبـة بن يربوع بن حنظـلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مـرة (٤٥) .

كان من المعمرين فى الجاهلية ذكـر السجستانى أنه عـاش مـائة وثمانين عـاما .

ومن شعره الذى قاله فى شيخوخته :

يا بـؤس للشـيخ عبـاد بن شـداد
أضحى رهينـة بيـت بـين أعـواد
وتهـزأ العـرس منى ان رأت جسـدى
أحـدب لـم تبـق منـه غيـر أجلاد
فـان تـرينى ضـعيفا قاصـرا عنـقى
فقـد أكعكـع عـنى عـدوة العـادى
وقـد أفىء بأثـواب الـرئيس وقـد
أغـدو على سلهب للـوحش صـياد

وهى أبيـات تفيض بالتحسر على الشباب والقـوة ، بعد أن صـار الرجـل حبيس خيمتـه لا يخرج لحرب ولا لصيد كما كان يفعل .

وها هى ذى عرسـه تهـزأ منـه ، من ضعف قـوته ، ومن هيئـة جسـده الذى ضعف وانحنى صلبه ، ولم يبق منـه غير الجلد المتجعـد على العظـام اليابسـة . لكن الشـاعر يلتمس فى ماضيه زادا يهـون عليه ما صـار اليـه حاله ، فيذكـر عرسه بأنه طالمـا دافع عن حمـاه وحمى قـومه ، وصـد الأعداء وأبعـدهم ، وكم حارب وانتصر وقتل الرؤساء وأخذ سلبهم ، وقد كان يركب جوادا سريعا يصيد به الوحوش .

---

(٤٥) شعر بنى تميم ص ٢٤٣ .

وهل يكفى كل ذلك لينسى الشيخ بؤسه ؟! وهل يشفع له ماضيه عند عرسه ؟! •

يبدو أن هم الكبر أكبر من أن يهونه تذكر الشباب ، لكن هذا التذكر - على أية حال - هو المتنفس الوحيد الذى يلجأ اليه المعمرون ليهونوا على أنفسهم مرارة العجز والازدراء والاهمال •

وقد يضاعف تذكر الشباب والأيام الخالية من الاحساس بآلام الكبر عندما يوازن الشاعر بين ماضيه وحاضره كما نجده فى قول الشاعر قشير بن عطي العبيدى(٤٦) :

١ - كفى حزنا الا أرد مطيتى
ولا اغدو مع القوم فى وفد

٢ - وان امرعت قريان نجد ونورت
من البقل لم أنظر بعينى فى نجد

٣ - وان أسال الأوغاذ ما كان شأنهم
ولا اشهد الشورى لغى ولا رشد

٤ - وقد كنت أعطى السيف فى الروع حقه
حياء اذا جردت سيفى من الغمد

* * *

---

(٤٦) انظر شعراء بنى قشير فى الجاهلية والاسلام : القسم الثانى ص ١٤٢ تأليف الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل - ط• عيسى الحلبى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •
وقوله : أمرعت : أعشبت • القريان : جمع قرى وهو مجرى الماء فى الروض • والنور : الزهر • ونورت : كثر زهرها • البقل من النبات : ما ليس بشجر دق ولا جل • الوغد : الذليل الضعيف • الغمد : جفن السيف •

١٤ ـ عبد القيس بن خفاف

هو الشاعر عبد القيس بن خفاف البرجمى ، وكنيته أبو حبيل . كان شريفا شجاعا ، عاش زمن النعمان بن المنذر ، وهو من الشعراء الحكماء(٤٧) .

يبدو من شعره أنه كان حريصا على مكارم الأخلاق ، وتعد قصيدته فى وصية ابنه جبيل كنزا للنصائح القيمة والمثل العليا .

ويبدو أن تذكره الموت كان أحد الدوافع التى أظهرت فى شعره هذا الاتجاه ، ففى قصيدته التى ضمنها وصاياه لابنه جبيل جاء البيتان الأخيران منها كانهما المبرر للالتزام بهذه الأخلاق التى يريد الشاعر من ابنه الحرص عليها ، وهما قوله :

ومؤمل قد قصرت أكفانه ومحاذر أكفانه لم تعزل
ومشيد دارا لينزل داره نزل القبور وداره لم ينزل

بل ان مطلع هذه القصيدة يدل على أن الاحساس بالموت كان أحد الدوافع فى قولها .

لقد بدأ الشاعر القصيدة بنداء الديار الدارسة ، دار عبلة التى ما زال يذكرها على الرغم من طول العهد وتقادم الزمن ، لكن أوصاف الدار تنبىء بالخراب وانقطاع العمران :

يا دار عبلة من مشارق مأسل
درس الشؤون وعهدها لم ينجل

---

(٤٧) راجع شعر بنى تميم ص ٣٤٧ ، شرح المفضليات ـ القسم الثالث ص ١٢٨٩ .

فاستبدلت عفر الظباء كانما ... أبعارها فى الصيف حب الفلفل
تمشى النعام به خلاء حوله ... مشى النصارى حول بيت الهيكل

فدار عبلة غيرها البلى ، وفارقها أهلها ، وأمست خلاء من البشر حتى الحيوان الذى سكنها تبدو صورته فارغة من أوصاف الحياة النشيطة اللاهية التى يمكن أن نتصورها فى قطعان الظباء والوحش ٠

فالظباء التى سكنتها (عفر الظباء) نوع ضعيف العدو ، لونه لون التراب ، وصورة النعام التى تمشى بها توحى بالخشوع والفتور والضعف ، وتشبيه مشيها بمشى النصارى حول بيت الهيكل يدل على أن الرجل كان مشغولا بالتفكر فى أمر الآخرة ٠ آخرته التى أوشكت أن تحين ، ولذا جاءت وصيته لابنه بعد هذه المقدمات ، وفى بدايتها اخبار صريح بذلك فى قوله :

أجبيل ان أباك كارب يومه
فاذا دعيت الى العظائم فافعل
أوصيك أيصاء امرىء لك ناصح
طبن بريب الدهر غير مغفل

ولعبد القيس قصيدة يشرح فيها منهجه فى الحياة ابان فترة من عمره وتبدو صفات العفة والكرم والشجاعة والنبل ملامح بارزة لهذا المنهج الذى أحبه الشاعر والتزمه وخالف به ومن أجله من لامه عليه ، وكان ذكره الموت كذلك هو المبرر عنده للالتزام بهذا المنهج ، يقول عبد القيس بن خفاف (٤٨) :

صحوت وزايلنى باطلى ... لعمر أبيك زيالا طويلا(٤٩)

---

(٤٨) أنظر شرح المفضليات : القسم الثالث ص ١٢٩٤ ٠
(٤٩) زايل : فارق ٠

واصبحت لا نزقا باللحاء ولا للحوم صديقى أكولا(٥٠)

ولا سابقى كاشح نازح بذحل اذا ما طلبت الذحولا(٥١)

فاصبحت أعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا ثقيلا(٥٢)

ووقع لسان كحد السنان ورمحا طويل القناة عسولا(٥٣)

وسابغة من جياد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا

كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا(٥٤)

فهذا عتادى وانى امرؤ أو الى الكريم وأجفو البخيلا

ونار دعوت بها الطارقين والليل ملق عليها سدولا

الى ملق بضيوف الشتاء اذا الريح هبت بليل بليلا(٥٥)

حليم ولكنه فى الحروب اذا ما تلظت تراه جهولا

ذلك هو منهجه الذى ارتضاه لنفسه ، أما دافعه ومبرره فيبدوان فى قوله :

راى انه جزر للمنون ولوعاش فى الدهرعمرا طويلا(٥٦)

فطاوع رائده فى الهوى وعاصى - على ما أحب - العذولا

ويقين عبد القيس بن خفاف بالموت وأنه أمر لا مفر منه ولا مهرب لأحد يتجلى أيضا فى اخباره زوجه بأنه هالك لا محالة ، وأنها

---

(٥٠) النزق : الطائش • اللحاء : المخاصمة •
(٥١) الكاشح : المعرض عداوة • الذحل : الثأر والعداوة •
(٥٢) العضب : السيف القاطع •
(٥٣) الرمح العسول : اللين •
(٥٤) المدجج : الكامل السلاح •
(٥٥) الملق : الود واللطف •
(٥٦) جزر المنون : حان أوان موته •

ستبين منـــه وتئيم مثـل كل النســاء اللائى يفقدن أزواجهن ، وفى نهيه اياها عن الجــزع والافــراط فى الحــزن ، اذ يقول :

أفــاطم انى هـــــالك فتبيــنى ولا تجــزعى كل النســاء يئيــم

ولا أنبــــأن أن وجهــــك شــــانه

خمــــوش وان كان الحميــم حميــم



١٢ — دويد بن زيد بن نهد

ذكره ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء ، فقال(٥٧) :

ومما يروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن نهد ، قال حين حضره الموت :

اليوم يبنى لدويه بيته … لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته … يا رب نهب صالح حويته
ورب غيل حسن لويته … ومعصم مخضب ثنيته

وقال أيضا :

ألقى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يصلحه اليوم ويفسده غدا

يشكو ما فعل به الدهر ، وفى نهاية حياته ينظر الى قبره الذى هو منزله الأخير وبيته ، ويصرح بعجزه عن مقاومة البلى وهو الشجاع الذى طالما هزم الأقران ، ولو أن الدهر كان يبلى لأبلاه ، ولو أنه كان رجلا لصرعه ، ولكن هيهات .

ويتذكر الشاعر أيام لهوه ومتعته وشبابه وفتوته ، أيام كان ينهب الغنائم الكثيرة ، ويجاوز الحراس ليستمتع بالنساء الجميلات . فاذا بالدهر يبدد كل قوة ويذهب كل نعمة ، ويفسد عليه أمره .

★ ★ ★

---

(٥٧) الطبقات ص ٣١ .

١٣ — أفنــون التغلــبى

قــال المفضــل(٥٨) :

« بلغنــا أن رجــلا من بنى تغلب يقال له أفنــون يلقب به ، واسمه صريم بن معشــر بن ذهــل بن تيم بن عمــرو بن مــالك بن حبيب بن عمــرو بن غنم بن تغلب لقي كاهنــا فى الجاهلية ، فســأله عن مــوته ، فقال : أما انك تمــوت بمكان يقــال له الاهة ، فمكث ما شــاء الله ، ثم انه ســافر فى ركب مع قــومه الى الشــام ، فاتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطــريق ، فاستقبلهم رجــل فســألوه عن طــريقهم ، فقــال : خــذوا كذا وكذا ، فاذا عنت لكم الاهــة ـ وهى قــارة بالسماوة ـ وضــح لكم الطــريق . فلما سمع أفنــون ذكــر الموضــع تطــير ، فلما أتوها نزل أصحابه ، وأبى أن ينزل معهم ، فبينما ناقتــه ترتعى عــرفجا لدغتهــا أفعى فى مشفرها فاحتكت بســاقه ، والحيــة متعلقــة بمشفرها فلدغتــه فى ساقه ، فقال لأخ معه : أحفر لى قبرا فانى ميت .

وقيــل انه كان راكبــا حمــارا ، فلما أبى النزول مع أصحابه وطال وقوفه ربض الحمــار فلدغتــه حيــة ، وقالوا نهش حمــاره ، وسقط ، فقال لأصــحابه : انى ميت ، فقالوا : ما عليــك باس . قال : فلم ربض العير اذاً ، فارسلها مثــلا ، ثم قال يرثى نفســه :

١ ـ ألا لست فى شىء فــروحا معــاويا
ولا المشــفقات اذ تبعــن الحـــــوازيا

---

(٥٨) أنظر شرح المفضليات ـ القسم الثانى ص ٩٣٨ ؛ وراجع أيضــا الشعر والشعراء ص ٢٦٨ .

قـوله : ألا لست فى شىء : كلام يائس مما يرجى أو يحـذر • والشىء اسـم لكل ما يجـوز أن يعلم أو يخبر عنـه ، فكأن المـراد : ليس اليـك من الأمـر شىء لمـا استسلم بما استشعره من قول الحازى (وهو الكاهن) وحكمه ، خاطبه بهذا منتظرا للكائنة •

ولا المشفقات اذ يتبعن الحوازيا ، المـراد : أنى لا أقـدر أن أدفـع عنى شـيئا كتب على ، وكذا النســاء المشفقات اذ تبعن الكواهن يسـألنهم لا يغنين عمن أشفقن عليـه شيئا •

٢ ـ فلا خـير فيما يكـذب المـرء نفسـه

وتقـــــوا له للشىء يا ليـت ذا ليـــا

المعنى : أن حديث النفس ـ اذا حقت الحقائق ـ لا يغنى شـيئا ، صـدقا كان أو كذبا •

٣ ـ فطأ معرضـا ان الحتـوف كثيـــرة

وانــــك لا تبـقى بمـــا لــك باقيـــــا

يخـاطب صـاحبه أو نفســه ، يقول : أقـدم على ما يعـرض لك واركب ما يعطيـك ظهـره ، عالمـا أن أنـواع المـكاره كثيرة ، وقوله : انك لا تبقى بما لك باقيا : يريد أن المـال لا يحرسك ولا يدفع مكـروها عنك ، وهو بعـرض الزوال وان اجتهدت فى تبقيته •

٤ ـ لعمـرك ما يدرى امـرؤ كيف يتقى

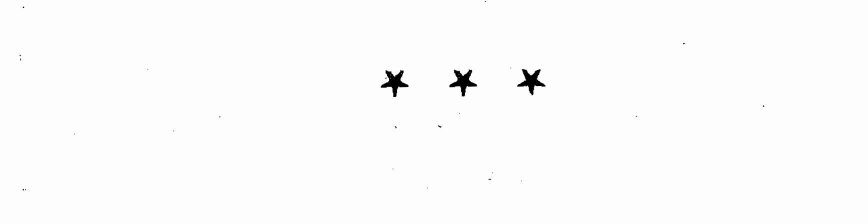
اذا هـو لـم يجعـل لـه الله واقيـــــا

٥ ـ كفى حزنا أن يرحـل الركب غدوة

وأصــــبح فى أعـلى الاهـــــة ثـاويا

والشـاعر فى هذه الأبيـات يعـرب عما أحسـه من مـرارة الموت الذى انتظـره عندما أخبر بأنه بالموضع الذى أخبره به الكاهن •

ولو كان الموت بدار أهـله لخفت عليـه مشقة الأمـر ، لكن الركب سيتركه ويرحل ويظل هو ثاويا فى موضع موته وحده •



١٤ ـ المرقش الأكبر

هو عمرو بن سعد ، ويقال : عوف بن سعد ، بن مالك ، بن ضبيعة ابن قيس ، بن ثعلبة ، وينتهى نسبه الى ربيعة بن نزار .

وهو شاعر جاهلى ، عاصر المهلهل ، وشهد حرب البسوس(٥٩) .

وسمى المرقش لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقش فى ظهر الأديم قلم(٦٠)

والمرقش أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته أسماء بنت عوف بن مالك ، وقد كانت ابنة عمه التى ربى معها صغيرا ، خطبها من أبيها ، فقال له : لن أزوجك اياها حتى تكون رئيسا وتأتى الملوك ، فخرج مرقش ، فأتى ملكا من ملوك اليمن ممتدحا له ، فأنزله وأكرمه ووصله ، وفى فترة اقامته باليمن أصابت عمه سنة فأجدب ، وخطب اليه رجل من مراد أسماء ، فزوجه منها . فلما عاد المرقش أشفق عليه أخوته وبنو عمه من أن يخبروه بزواج ابنة عمه من المرادى ، وأخبروه أنها ماتت ، وذهبوا به الى قبر قد أخذوا قبل ذلك كبشا فأكلوا لحمه ووضعوا عظامه فى ذلك القبر .

وجعل المرقش يزور هذا القبر معتقدا أن محبوبته ثاوية فيه ، وبينما هو نائم عنده ذات يوم اذ اختصم صبيان من بنى أخيه فى كعب معهما فقال أحدها لصاحبه : هذا كعب الكبش الذى ذبح ودفن ، وقيل للمرقش : انه قبر أسماء ، دفعه الى أبى .

---

(٥٩) أنظر شرح المفضيات : القسم الثانى ص ٨٠٩ .
(٦٠) الشعر والشعراء : ص ١١٩ .

فلما سمع المرقش ذلك من الضبى فعد مذعـورا ، وما زال بالضبى حتي أعلمه الخبر ، فعمد الى بعيـر له وحمـل معـه مـولاة وزوجا لها من قبيـلة غفيـلة كان أجيرا يرعى للمرقش ، وذهب يطلب المـرادى زوج أسماء ويبحث عنـه ، فمرض مرضـا شـديدا ، فتركه الغفيلى فى غـار وانصرف الى أهـله فأخبرهم أن المرقش مـات ، فأخذوه وضربوه حتى أقـر فقتلوه ، ويقال : أن أسـماء وقفت على أمـره فبعثت اليـه ، فحمل اليهـا ، وكانت السـباع قد أكلت أنفه وبعض لحمـه ، فقال :

يا صـاحبى تلومـا لا تعجـلا
ان الرحيـل رهـين الا تعـذلا(٦١)

فلعـل بطـأ كمـا يفـرط سيئا
أو يسبق الاسـراع سـيبا مقبـلا(٦٢)

يا راكبـا امـا عـرضت فبلغـا
أنس بن سعد ان لقيت وحـرملا(٦٣)

لله دركمـا ودر أبيـكما
ان أفلت الغفلى حتى يقتلا(٦٤)

مـن مبلـغ الأقـوام أن مرقشـا
أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

---

(٦١) تلوما : أى تلبثـا .
(٦٢) يفرط : يقدم ، مأخوذ من الفارط ، وهو المتقدم قبل الماشية ، يصلح الدلاء الأرشية . ومعناه المراد هنا : يفوت وينحى ، فيقول : تريثا لعل التريث وعدم العجلة أن يفوت عنكما مكروها ، ولعل سيبا مقبلا يكون بعد عجلتكما فانتظاركما أوفق .
(٦٣) أنس وحرملة : أخواه .
(٦٤) تحضيض وحث على قتل الغفلى .

ذهب السباع بأنفه فتركنه أعشى عليه بالجبال وجيالا(٦٥)
وكأنما ترد السباع بشلوه اذ غاب جمع بنى ضبيعة منهلا(٦٦)

فهذا شاعر قتله العشق ، والأبيات تصور نفسه الرقيقة المعذبة ، فى محنة شديدة ، عانى الشاعر فيها فقد المحبوبة ، وتخلى رفاق الطريق ، والغيبة عن أهله وداره ، والمرض الشديد الذى جعله على رفاق الطريق عبئا مثقلا ، مما دعاهم الى تركه وحيدا فى غار والانصراف عنه ٠

وتجتمع المصائب على الشاعر من كل جهة ، وتبلغ مأساته ذروتها بهذه السباع التى اجتمعت عليه ، تنهش لحمه وتعبث به ، وهو لا يملك قوة لدفعها ومنع نفسه منها ٠

وتتضمن الأبيات رسالة الى قومه بنى ضبيعة ، والى أخويه خاصة ألا يترك الغفلى الذى ترك الشاعر وحيدا فى الغار ، فريسة للمرض وللسباع ، ويحثهم على قتله ، لكنه يأمر صاحبيه اللذين وجه اليهما نداءه فى البيت الأول أن يتريثا ، ويبدو أنه كان يريد من أخويه ألا يتعجلا بقتل الغفلى قبل أن يعرفا منه مكان المرقش وخبره ، ليرحلا اليه ويدركوه ٠

* * *

---

(٦٥) الأعشى : هو من الضباع الذكر العظيم ، والأعشى : لون الى السواد ، وهو الكثير الشعر أيضا ٠ والجيال : الضبع ، ونصب عى أنه مفعول معه ، يريد : اجتمع عليه أعشى مع جيال فأكلاه ٠

(٦٦) شلوه : بقايا لحمه وعظامه ٠ والمعنى : كأنما ترد السباع منهلا بورودها شلوه ٠ راجع شرح المفضليات : القسم الثانى ص ٨٠٩ ٠

الفصل الثانى

رثاء الآخرين

يرتبط شعر الرثاء بالموت ارتباطا وثيقا ، اذ هو نتيجة للموت ومسبب عنه ، وقد ثبتت تقاليد هذا الفن وتاصلت عند شعراء الجاهلية ، وتتمثل هذه التقاليد فى التعبير عن مشاعر الحزن والأسى ، والاحساس بعظم المصيبة فى مو تالمرثى ، ثم فى تعداد مآثره وفضائله التى كان يتصف بها فى حياته ، ثم محاولة التعزى عن فقده بتذكر مصائر من كانوا قبله ، والالتفات الى أن الموت مصير جميع البشر .

ورثاء الأفراد كثير جدا فى الشعر الجاهلى ، وقد كانت الحروب رافدا يمد فن الرثاء ويثريه ، ويجدد طاقة الشعراء ، فما من حروب أو غارة الا ويسقط فيها العديد من القتلى ، فتنشد فيهم قصائد الرثاء على ألسنة اخوتهم أو أصدقائهم أو بنى قبائلهم من الشعراء .

وفى هذا الفصل حاولت جهدى أن أنتقى من الشعر الكثير الذى قيل فى الرثاء ما يتفق ومنهج هذه الدراسة وغرضها ، فأغفلت أكثر شعر الرثاء الذى غطت فيه شخصية المرثى على احساس الشاعر بالموت بوصفه حدثا يزلزل الوجدان ، ويلفت المرء الى المصير المحتوم الذى ينتظره سائر الناس ، كما أغفلت القصائد التى استغرقها التعبير عن عاطفة الشاعر نحو المرثى ، بتصوير حزنه عليه وألمه لفقده دون تركيز على فكرة الموت أو رؤية الشاعر له واحساسه به .

فمثلا قصيدة أوس بن حجر فى رثاء فضالة بنكلدة من الرثاء

الذى تظهر فيه شخصية المرثى ظهورا واضحا لكن فكرة الموت أو رأى الشاعر فيه أو احساسه به لا يظهر . يقول أوس بن حجر (١) :

أيتها النفس أجملى جزعا ... ان الذى تحذرين قد وقعا

ان الذى جمع السماحة والنجدة ... والحزم والقوى جمعا

الألمعى الذى يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا

والمخلف المتلف المرزأ لم ... يمتع بضعف ولم يمت طبعا

وتمضى القصيدة على هذا النحو ، تعدد فضائل المرثى ومآثره التى كان يتصف بها فى حياته من سماحة ونجدة وشجاعة وكرم وحزم وذكاء .

ومن القصائد التى استغرقها التعبير عن عاطفة الحزن وتصوير ألم الفقد دون أن تركز على حقيقة الموت بالتأمل والاحساس ، قصيدة جليلة بنت مرة فى رثاء زوجها كليب الذى قتله جساس أخوها ، فلا شك أن عواطف الحزن والأسى والحيرة واليأس تملؤها وهى تصوير لمأساة امرأة ترى بيتها يتهدم بقتل زوجها ، وتلمح فى الأفق نذر الشر التى تنبىء عن وشك قيام حرب ضروس بين قبيلة زوجها وقبيلة أخيها التى اليها تنتمى ، وهى فى حزنها على زوجها القتيل وضيقها بفعلة أخيها ، لا تستطيع قتل عاطفة الأخوة عندها ، فهى مشفقة على أخيها المطلوب للثأر .

وفى خضم هذه العواطف الملتهبة غابت فكرة الموت عن القصيدة

---

(١) الرثاء فى الشعر العربى ص ٨٨ ، د. محمود حسن أبو ناجى ، ط ٢ دار الحياة ـ بيروت ـ ١٤٠٢ هـ .

ولم يكن بوسع الشاعرة أن تتأمل حقيقته أو تعبر عن رأيها فيه ونظرتها إليه ، تقول جليلة بنت مرة(٢) :

يا ابنة الأقوام ان لمت فلا
تعجلى باللوم حتى تسألى

فاذا انت تبينت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى

ان تكن أخت إمرىء ليمت على
شيفق منها عليه فافعلى

جل عندى فعل جساس فيا
حسرتى عما انجلت أو تنجلى

فعل جساس على وجدى به
قاطع ظهرى ومدن أجلى

لو بعين فقئت عينى سوى
أختها فانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما
تحمل الأم أذى ما تفتلى

يا قتيلا قود الدهر به سقف بيتى جميعا من عل

هدم البيت الذى استحدثته وانثنى فى هدم بيتى الأول

ورمانى فى قتله من كثب رمية المصمى به المستأصل

يا نسائى دونكن اليوم قد خصنى الدهر برزء معضل

خصنى قتل كيب بلظى من ورائى ولظى مستقبل

---

(٢) الرثاء فى الشعر العربى : ص ٧٩ .

ليس من يبكى ليومين كمن   انمـا يبكى ليـوم ينجلـى

يشتفى المدرك بالثـار وفى   دركـى ثـأرى ثـكل المثـكل

ليتـه كـان دمـى فاحتلبـوا   بدلا منـه دمـا مـن أكحـلى

اننى قـاتلـة مقتـولـة   ولعـل الله أن يرتـاح لى

فهـذا النـوع من الرثاء لا يعنينـا فى هذه الدراسـة لأن المقصـود منهـا معـالجة فكـرة الموت ورؤية الجاهليين له واحساسهم به • ومـن الرثاء الذى يظهـر فيـه احسـاس الشـاعر بالموت ، أو تبـدو صـورته ومشهده على نحـو ينم عن احسـاس الشـاعر به قـول امـرىء القيس فى رثاء بعض أجـداده(٣) :

ملوك من بنى حجر بن عمرو   يسـاقون العشـية يقتـلونا

فلو فى يـوم معـركة أصيبوا   ولـكن فى ديـار بنى مـرينا

ولـم تغسـل جماجمهم بغسـل   ولـكن فى الدمـاء مـر مليـنا

تظـل الطـير عاكفـة عليهم   وتنتـزع الحـواجب والعيـونا

ففى هذه الأبيـات تصـوير للموت فى عدة مشـاهد مروعة هى فى حقيقتها شـرائح من نفس الشـاعر تجـلى احسـاسه بهذا الحدث ، وهذه المشـاهد تكون فى مجموعها صـورة الموت الذى حـل بأجداده ، فهم يسـاقون عشية الى القتـل ، ويقتلون وتمـرغ جماجمهم فى الرمـال ولا تغسـل ، ويتركون نهبـا للطـير الجـارح ينزع حواجبهم وعيونهم ويعبث بأجسادهم التى لم توار التراب •

---

(٣) الرثاء فى الشعر العربى : ص ٩٧ •

وهذه المشاهد مروعة بلا شك ، ترسم الموت فى صورة رهيبة وهو موت بطريقة تبعث الفزع والأسى فى النفس ، وقد استقرت هذه الصورة فى نفس الشاعر ، فظهر احساسه بها فى تعبيره عنها ووصفه اياها ، ولقد أراد الشاعر أن يجعل هذه المشاهد حاضرة فى نفس السامع كما كانت حاضرة عنده ، فاستخدم التعبير بالفعل المضارع (يساقون ـ يقتلون ـ تغسل ـ تظل ـ تنتزع) .

ومن المراثى التى يظهر فيها احساس الشاعر بالموت كذلك مرثية كعب بن سعد الغنوى فى أخيه ، وكان الشاعر قد خرج بأخيه المغوار الى البادية لمرض كان شائعا فى المدينة خاف على أخيه منه ، وقد قيل له ان الوباء كان فى المدينة ، والبادية بريئة منه ؛ فخرج اليها طالبا نجاة أخيه من الموت ، لكن الموت أدرك أخاه فى البادية ، فقال كعب (٤) :

فخبرتمانى انما الموت بالقرى
فكيف وهذى روضة وكثيب
وماء سماء كان غير محمة
بداوية تجرى عليه جنوب (٥)
ومنزلة فى دار صدق وغبطة
وما اقتال فى حكم على طبيب (٦)

---

(٤) راجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود شاكر ، جـ ١ ص ٢١٢ .

(٥) أرض محمة : ذات حمى . والداوية : الفلاة المتباعدة التى تدوى فيها الرياح .

(٦) اقتال : تحكم . وهذا منزل فى أرض بريئة من العيب ، لا طبيب بها يتحكم ويدعي فكيف اذن غاله الموت ؟ .

فلو كانت الموتي تباع اشتريته
بما لم تكن عنه النفوس تطيب

بعينى وكلتنا يدي وقيل لي
هو الغانم الجذلان حين يؤوب

وداع دعا يامن يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة
لعل ابا المغوار منك قريب

يجبك كما قد كان يفعل انه
مجيب لابواب العلاء طلوب

وهذه القصيدة جديرة - بحق - بما نالته من استحسان النقاد وتقديرهم ، فقد سئل الاصمعي عن فحول الشعراء ، وكان كعب بن سعد الغنوى ضمن الشعراء الذين سئل عنهم : هل يعد من الفحول ؟ فأجاب الأصمعي بقوله : « ليس من الفحول الا فى المرثية ، فانه ليس مثلها فى الدنيا » (٧) يعنى تلك القصيدة . وبها عده ابن سلام من طبقة شعراء المراثى . كما رواها أصحاب المختارات ، الاصمعى فى الأصمعيات ، والقرشى فى الجمهرة والقالى فى الأمالى .

ووصفها محمود شاكر بأنها من بارع كلام العرب ونبيله(٨) .

---

(٧) انظر تاريخ النقد الأدبى عند العرب - د / احسان عباس ص ٥٢ - ط. الخامسة - دار الثقافة - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
(٨) طبقات فحول الشعراء ص ٢١٢ هامش (٣) .

وفى الأبيات الأولى تعجب كعب من أمر الموت الذى تبع أخاه وأدركه بعد أن خرج من قرية الوباء التى أخبر أن الموت كامن بها . فكيف أدركه الموت فى هذه البادية النظيفة البعيدة عن الحمى والبريئة من الوباء والمرض ؟ !

فخبرتمانى أنما الموت بالقرى   فكيف وهذى روضة وكثيب

والتعبير يوحى بالتحسر والحيرة والعجب من شأن الموت الذى لم تنفع معه الحيلة ، ولم ينج منه الخروج من القرية الى البادية .

ووقع المصيبة على الشاعر شديد ، لكن ادراكه لحقيقة الموت ، وأن الذى تختاره المنية لا يفتدى ولا يعود حاضر فى نفسه ، ولا يملك الشاعر فى مواجهة ذلك الا تمنى المستحيل باستخدام « لو » التى يمتنع جوابها لامتناع الشرط الذى علق عليه :

فلو كانت الموتى تباع اشتريته   بما لم تكن عنه النفوس تطيب

بعينى أو كلتا يدى وقيل لى :   هو الغانم الجذلان حين يؤوب

ثم يلتفت الشاعر الى ما تركه أخوه من فراغ ، فمن الذى سيجيب طالبى الغوث والنجدة والعطاء بعده ؟ .

وبسبب شدة الأمر على الشاعر وشدة تعلقه بأخيه يبدو وكأنه يرفض التصديق بموته ، فيجنح خياله ليتصور المستحيل ممكنا ، فيدعى أن أخاه سيجيب من يدعوه للبذل والعطاء جريا على عادته فى حياته :

وداع دعا يامن يجيب الى الندى   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة

لعل أبا المغوار منك قريب

يجبك كما قد كان يفعل انه   مجيب لأبواب العلاء طلوب

وهـذا التردد بين الاعتراف بغياب المرثى ، والأمل الشـاحب فى امكان ارجاعه أو استجابته لنـداء دعاته ، وهـذا التأرجح بين الحقيقة الواقعـة والأمل المستحيل ، انما هو نتيجـة لاحساس الشـاعر بفـداحة مصابه ، وذلك مرتبط بما فوجىء به الشاعر من اختـلاف النتيجـة مع المقدمة ، أعنى خروجـه بأخيه الى البادية لينجـو من الموت ، وادراك المـوت اياه على الرغم من ذلك ، وهو ما تعجب الشـاعر منـه فى أول القصـيدة .

ومن هـذا الشعر كذلك قصيدة سعدى بنت الشمردل فى رثاء أخيها أسـعد وفيها تقول :(٩)

أمـن الحـوادث والمنـون أروع وأبيـت ليـــلى كلـه لا أهجـع

أفليس فيـمن مضى لى عـــبرة هلكوا وقـد أيقنت أن لن يرجعـوا

والبيتان تصـوير لما تعانيـه الشاعرة من فزع وسـهد ، ومحاولتها التصبر والتعـزى بمن مضى من الناس الى طريق الموت .

ثم تثنى الشاعرة على أخيها بالكرم والنجـدة على عـادة الشعراء فى هـذا الفن .

ثم تعرب الشاعرة عن أمنيـة مستحيلة راودتها ، وهى افتـداؤها أخاها من الموت ، ولكن أنى يكون ذلك وقـد انطلق سهم المنيـة اليـه فصرعه ، وقد رأته بعينيها مجنـدلا فى دمائه ، وتركتـه موجعة حزينة تـحمل خبر مقتل أخيها وما أشنعه من خبر :

فوددت لو قبلت بأسـعد فـدية مما يضن بـه المصـاب المـوجع

غادرته يوم الرصـاف مجنـدلا خــبر لعمرك يوم ذلك أشـنع

---

(٩) انظر الرثاء في الشعر العربي ص ٧٠

ومن هـذا الرثاء أيضا قصيدة المهلهل فى رثاء أخيـه كليب وفيها يقول :(١٠)

أهـاج قـذاة عيـنى الادكـار هدوءا فالدموع لهـا انحـدار
وصـار الليـل مشـتملا علينـا كأن الليـل ليس لـه نهـار
وابكى والنجـوم مطلعـات كأن لم يحـوها عنى النجـار
دعـوتك يا كليب فـلم تجبـنى وكيـف يجيبـنى البـلد القفـار
أجبنى يـا كلـيب خـلاك ذم لقـد فجعت بفارسـها نـزار

ودعوة الشاعر للميت وطلبـه منه أن يجيبه محاولة لاستبعاد مـا وقع - وكأنه لا يصدق موت أخيه - ثم لا يلبث الشاعر أن يصف حـزنه وجزعـه على فقـد أخيه الذى تأكد له موته ، وأنه لن يجيبه ، وبعدأن يعدد مآثره يحاول أن يتعزى وأن يلتمس الصبر فيما عرفه من أمر الحياة وأمر المـوت .

أرى طول الحيـاة وقـد تـولى كما قـد يسـلب الشىء المعـار

ثم تلقاناه فى قصيدة المهلهل صـورة القبر الذى غيب فيـه أخـوه فقد سأل الشاعر عن مكانه وقصـده وسار اليه ، وعنده ندب أخاه :

سـألت الحـى أيـن دفنتمـوه فقـالوا لى بسـفح الحـى دار
فسرت اليـه من بـلدى حثيثـا وطـار النـوم وامتنـع القـرار
وحـادت ناقتى عن ظـل قـبر ثـوى فيـه المكارم والفخـار

ومن المراثى التى يظهر فيها احساس الشـاعر بالموت كذلك مرثيـة سلمة بن يزيد في أخيه ، وفيها يقول :(١١)

---

(١٠) الرثاء فى الشعر العربى ص ٤٨
(١١) الرثاء في الشعر العربي ص ٧٣

اقول لنفسى فى الخلاء الومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر

الا تفهمين الخبر ان لست لاقيا أخى اذا ما اتى من دون اكفانه القبر

وكنت اذا ياتى به بين ليلة يظل على الأحشاء من بينه الجمر

فهذا البين قد علمنا ايابه فكيف لبين كان موعده الحشر

وهون وجدى أنى سوف اغتدى على اثره وان نفس العمر

فلا يبعدنك الله أما تركتنا حميدا واودى بعدك المجد والفخر

وقد تضمنت هذه الأبيات معانى شريفة ، فالشاعر يلوم نفسه وينكر عليها التجلد ، ويخاطب نفسه مذكرا اياها بفداحة مصابه فى أخيه وقد كان لا يطيق الصبر على فراقه ليلة واحدة ، فكيف يطيق فراقا ليس بعده اياب ، وليس منه رجعة ؟!

والذى هون الأمر على الشاعر علمه أنه سيتبع أخاه فى المصير نفسه .

ومن هذا الشعر كذلك ما قالته ليلى بنت طريف فى رثاء اخيها فقد ظهر فى هذا الرثاء احساسها بالموت ، وتحدثت عن القبر ، مع التعبير عن عاطفة الحزن التى استبدت بها على فراقه فقالت :(١٢)

بتل بناثا رسم قبر كأنه على جبل فوق الجبال منيف

تضمن جودا حاتميا ونائلا وسورة مقدام ورأى حصيف

ألا قاتل الله الحشى كيف أضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف

فان لا تجبنى دمنة هى دونه فقد طال تسليمى وطال وقوفى

---

(١٢) الرثاء في الشعر العربي ص ٧٦

ثم تتمنى امكان فدائه ، اذن لفدته بالألوف من الابل - وهى فدية أقل مما ورد عند كعب بن سعد ، فقد ود أن يفدى أخاه بعينه وكلتا يديه ، وهى فدية أثمن من الوف الابل - بلاشك -

ثم تصف الشاعرة أخاها بأنه كان شجا لعدوه ، وكان للضعفاء ملجأ ، وأنه كان حليف الندى فتقول :

فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه من دهمائنا بالوف

ومازال حتى أزهق الموت نفسه شجا لعدو أو لجا لضعيف

حليف الندى ان عاش يرضى به الندى

وان مات لا يرضى الندى بحليف

ثم تخلع الشاعرة حزنها على أشجار الخابور ، وتتعجب من ايراقه وقد كان جديرا به ألا يورق حزنا على أخيها ، وتتصور موته سقوطا للبدر وكسوفا للشمس ، على نحو ما يفعل شعراء الرومانسية فى العصر الحديث ، تقول ليلى بنت طريف :

فيا شجر الخابور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف

وللبدر من بين الكواكب اذ هوى

وللشمس همت بعده بكسوف

ثم تظهر فى نهاية القصيدة صورة النعش يحمله القوم الى مثواه الأخير ، مشيعا ببكاء الرجال وعويل النساء :

ولليث فوق النعش اذ يحملونه

الى حفرة ملحودة وسقوف

بكت تغلب الغلباء يوم وفاته

وأبرز منها كل ذات نصيف

وفي رثاء عمرو بن جممة الدوسي ، وهو أحد من كانت العرب تتماسك اليه ، قال حاطب بن قيس(١٣) :

سلام على القبر الذى ضم أعظما
تحوم المعالى حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق
وما استقطع من دجى الليل مظلم

فيا قبر عمرو جاه أرضا تعطفت
عليك ملث دائم القطر مرزم

تضمنت جسما طاب حيا وميتا
فانت بما ضمنت فى للأرض معلم

فلو نطقت أرض لقال ترابها
الى قبر عمرو الأزد حل التكرم

فلا يبعدنك الله حيا وميتا
فقد كنت نور الخطب والخطب مظلم

وصورة القبر هى التى ملأت هذه الأبيات ، فالشاعر يحييه ويسلم عليه ، ويصور المعالى تحوم حوله وتحيط به ، ويستديم عليه التحية كلما ذر شارق ، ويدعو له بالسقيا الدائمة .

والقبر فى ذاته لا قيمة له ، لكن ما تضمنه القبر هو المقصود ، فقد ضم ثراه رجلا طيبا ، وأصبحت بقعته معلما من معالم الأرض ، ولو أن الأرض قدر لها أن تنطق لشهدت بالفضل لهذه البقعة وشرفها على

---

(١٣) الرثاء في الشعر العربي : ص ٩٣ .

غيرها . ثم يدعو الشاعر للمرثى بعدم البعد ، وان يبقى مذكوراً بعد موته كما كان مشهورا فى حياته ، فقد كان نورا يضىء المظلمات ويكشف الكربات .

وتركيز الشاعر على صورة القبر دليل على قوة احساسه بالموت ، وهو ما قصدت الى ابرازه هذه الدراسة فيما اخترته من نماذج شعر الرثاء .

الفصل الثالث

الحكمة

شعر الحكمة هو مستودع الأفكار وخلاصة الآراء فى قضايا الوجود والحياة والموت ، صاغها الشاعر الجاهلى ، صادرا عن نفسه وعقله ، معبرا عن قيم عصره وبيئته وقومه ·

والموت قضية شغلت الانسان فى كل عصر وبيئة ، فليس شىء أخطر على الانسان من الموت · هذا الحدث الذى يطفىء مصباح الحياة ، ويبدو الآمال ، وينتزع الانسان من أهله وماله ودنياه ·

وفى طبيعة البشر حب الحياة والتشبث بالعيش · يود أحدهم لو يعمر ألف سنة · والذين يكرهون طول المكث فى الدنيا لا يكرهونه ذاته ، وانما يكرهون ما يصاحبه من مرض وعجز ، ولو كان مع البقاء سلامة لما كره أحد طول العمر ·

لهذا أخذ الموت مكانا مميزا بين القضايا الكبرى التى تحدث عنها الحكماء وتأملها الشعراء ·

ويبدو الموت فى شعر الحكمة عند الجاهليين أبرز القضايا التى تناولوها مما يدل على زيادة انشغالهم به عن غيره (١) ·

---

(١) راجع الوصايا والحكم فى الأدب الجاهلى : رسالة ماجستير ، اعداد محمد عبد الجواد فاضل ـ مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ·

وفى حديثهم عن الموت تناولوه من عدة جوانب ؛ ورصدوا مجموعة من الظواهر المتعلقة به ، فتحدثوا عن حتميته واتيانه على جميع الخلائق ، وعن تفاوت الآجال ، وعن كراهية الانسان للموت . وهم فى فى كل ذلك يصورون الموت طالبا والانسان مطلوبه ، أو صائدا يلقى شباكه على الناس ، فيصيب منهم ما يريد . لأن سهمه لا يخطىء وقصده لا يخيب .

وقد أدرك الجاهليون أن هذا القدر - أعنى الموت - ماض على الناس جميعا ، وحاول بعضهم أن يعتبر بمن سبقه الى هذا المصير المحتوم على نحو ما قال قس بن ساعدة (٢) :

فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

وهذا امرؤ القيس فى لحظة تأمل يدرك أن المنايا آتية على سائر الناس ، لا تفرق بين عاقل ومجنون أو كيس وأحمق ،

تلك المنايا فما يبقين من أحد
يكفتن حمقى وما يبقين أكياسا

ويرى طرفة بن العبد الموت مصاحبا للانسان ، ملازما اياه فى سفره واقامته ، منفردا ومع أقرانه ، يقبض المرء على أى حال لأن الموت معه حيثما يكون . يقول طرفة (٣) :

---

(٢) راجع الأغانى : ج ١٤ ص ٤٠ - بيروت .
(٣) ديوان طرفة تحقيق د. على الجندى ص ٢٣٧ - مكتبة الأنجلو المصرية .

من كان فى سفر فالموت صاحبه
أو كان فى حضر فالموت يأتيه
وان مضى خمسة فالموت سادسهم
وان مضى واحد فالموت ثانيه

ويفطن بشر بن أبى خازم الى أن سلامة المرء لا تدوم ، وان دامت فانها لا تحول بينه وبين الموت ، فيقول :

وكل نفس امرىء وان سلمت
يوما ستحسو لميتة جرعا(٤)

كما أن طول العمر والبقاء فى الدنيا لا يشفع للمرء عند الموت ، فكل معمر ينتظر منيته ليفارق الدنيا . هذا ما عبر عنه أمية بن أبى الصلت فى قوله :

فكل معمر لابد يوما وذى دنيا يصير الى زوال
ويفنى بعد جدته ويبلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال(٥)

ومن وحى البيئة الجاهلية التى كثر فيها القتل - حربا أو غارة أو غيلة أو ثأرا - الى حد يشبه الفوضى ، أتى تشبيه زهير بن أبى سلمى للمنايا بالناقة العشواء التى تخبط على غير نسق أو ترتيب ، وتضرب دون حكمة أو نظام ، فمن أصابته هلك ومن أخطأته نجا ، وذلك فى قوله :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم(٦)

---

(٤) ديوان بشر : تحقيق د. عزه حسن ص ١٢٤ - دمشق ١٩٦٠ .
(٥) ديوان أمية : ص ٤٩ - المكتبة الأهلية - بيروت .
(٦) ديوان زهير : ص ٨٦ - دار صادر - بيروت .

لكن زهيرا يدرك أن هذه النجاة الى أجل ، فالموت هو المصير المحتوم لكل حى ، لا يستطيع أحد الهرب منه أو الفرار ، حتى لو رام الصعود الى السماء .

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
وان يرق أسباب السماء بسلم(٧)

والشعراء الجاهليون يجمعون على القول بحتمية الموت واتيانه على جميع الخلائق ، وأنه يأتى بغتة من غير موعد . وهذه الحقائق أدركوها من رؤيتهم لحال الموت مع الناس .

يقول عبيد بن الأبرص(٨) :

وللمرء أيام تعد وقد رعت
حبال المنايا للفتى كل مرصد
منيته تجرى لوقت وقصره
ملاقاتها يوما على غير موعد
فمن لم يمت فى اليوم لابد أنه
سيعلقه حبل المنية من غد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى
تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد
فانا ومن قد باد منا لكالذى
يروح وكالقاضى البتات ليغتدى

وتبدو رؤية عبيد صائبة متفقة والحق فى تلك الأبيات ، فالمرء

---

(٧) السابق .
(٨) ديوان عبيد تحقيق وشرح د. حسين نصار ص ٥٩ ـ الحلبى .

أيامه فى الدنيا معدودة ، والموت يتربص به انتهاء الأجل الذى لا يعرف وقته غير خالق الموت والحياة •

والذى لا يموت اليوم سيموت غدا ، وما أقرب اليوم من الغد فكل آت قريب ، وعلى هذا فما أقرب الأحياء من الأموات •

وقد صاغ عبيد بيته الأخير فى صورة مستوحاة من بيئته اذ شبه الموتى والأحياء بقوم سافر بعضهم آخر النهار أولئك الذين سبقوا الى القبور • والبعض الآخر يحزم أمتعته استعدادا للسفر فى الصباح • أولئك الذين ينتظرون أجلهم وهو آت لا ريب •

حتى الفرسان الذين يخوضون غمار الحرب لا يبالون ، شغلتهم حقيقة الموت ، وحيرتهم حكمته ، عندما رأوه يخطف طفلا من مهده الآمن من كل خطر ، المحوط من أهله بالرعاية والحفظ ، ويمهل شيخا يعرض نفسه للمهالك ويشارك فى الحرب • ها هو ذا عنترة ابن شداد يعبر عن ذلك فى قوله (٩) :

يخوض الشيخ فى بحر المنايا
ويرجع سالما والبحر طام
ويأتى الموت طفلا فى مهود
ويلقى حتفه قبل الفطام

ولقد كان ذلك خليقا بأن يلقى فى قلوب الفرسان كثيرا من الشجاعة ، فما دام الموت غير مرتبط بعمر ولا خطر ولا أمن ، فلماذا يخاف الفارس من الحرب ، ولماذا يرهب الموت فيها ، فقد يترك

---

(٩) ديوانه : ص ١٨٠ •

الموت الرجل المحارب ويأتى على الطفل الصغير ، فالعبرة اذن بما قضاه الله وقدره ، ولهذا قال عنترة بن شداد أيضا :

يا عبل أين من المنية مهربى
ان كان ربى فى السماء قضاها(١٠)

وهذا الذى عرفه الجاهليون من أمر الموت اهتدوا اليه بالفطرة وبالتجربة والمشاهدة والأخبار ٠

وكل الناس فى سائر البيئات والعصور يعرفون تلك الحقائق ، وعندما يصاحب هذه المعرفة ايمان قوى بالبعث والآخرة ويقين بالحساب والجزاء يندفع الانسان للعمل الصالح طلبا لثواب الله وجناته ، ويصبح الموت عاملا من عوامل زيادة الخير فى الحياة ٠

والواقع أن الحياة الجاهلية كانت تفتقد الايمان القوى واليقين الثابت بالآخرة ، باستثناء ومضات خافتة كانت تضىء قلوب المتحنفين المستمسكين ببقايا دين ابراهيم - عليه السلام - ولم يكن عددهم كبيرا بين العرب ، ولا تقوم الاشارات التى وردت فى شعر أمية ابن أبى الصلت وغيره من الشعراء الى اليوم الآخر والحساب دليلا على نقض هذا القول ، لأن هذه الاشارات لا تدل على الايمان الراسخ واليقين الثابت ، فأمية بن أبى الصلت قال عنه الرسول ﷺ « آمن لسانه وكفر قلبه » وغيره كان وثنيا يعبد الأصنام ، وهم وان لم يفردوها بالعبادة ، قدسوها اعتقادا بأنها تقربهم الى الله زلفى ، وكل ذلك تخبط ، تنفى شواهده عن الجاهليين فى عمومهم أنهم كانوا يؤمنون يقينا بالبعث والجزاء ٠

ولهذا اندفع الفعل الجاهلى فى الاتجاه الآخر نتيجة لضعف الايمان بالله واليوم الآخر أو انعدامه ، مع التحقق من فناء الدنيا

---

(١٠) ديوانه ص ١٠١ ٠

وانقضـاء الأعمار ـ أعنى تيـار الفـوز بالدنيـا على أى وجه ومن أى طـريق ـ وغـالبا ما كان الشـر هو الطـريق الذى سـلكه الجـاهليون لادراك غايتهم من الدنيـا .

ولقد اتخذوا من الموت ذريعـة للافـراط فى التمتـع بما أتيح لهم من ملذات الحيـاة ، التى تمثلت فى استمتاعهم بالخمـر وبالنسـاء ، واشباع جانب حب البطولة والفخـر بها عن طـريق الحـروب .

واقـترنت أفكارهم عن الموت ودلائل انكارهم للبعث بحديثهم عن هذه المتـع التى أرادوا انتهابها قبـل أن تفوتهم فرصـة الحيـاة . ولعل أوضح مثـال على ذلك ما جاء فى معلقة طرفة بن العبد اذ يقول :

الا أيهـذا الـلائمى أحضـر الـوغى
وان اشـهد اللذات هل انت مخلدى
فـان كنت لا تستطيـع دفـع منيتى
فـدعنى ابادرها بمـا مـلكت يدى
فـلولا ثـلاث هـن مـن لـذة الفـتى
وجـدك لم أحفل متى قـام عودى
فمنهـن سـبقى العـاذلات بشـربة
كميت متى مـا تعـل بالمـاء تزبد
وكـرى اذا نـادى المضـاف مجنبـا
كسـيد الغضـا نبهتـه المتـورد
وتقصـير يوم الدجن ، والدجن معجب
ببهكنة تحت الطـراف المعمـد
فذرني أروى هـامتى فى حيـاتها
ستعلم ان متنـاغدا اينـا الصـدي

كريم يروى نفسه فى حياته
مخافة شرب فى الممات مصرد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد

متى ما يشأ يوما يقده لحتفه
ومن يك فى حبل المنية ينقد

ارى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوى فى البطالة مفسد

ترى حثوتين من تراب عليهما
صفائح صم من صفيح منضد

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

ارى الموت اعداد النفوس ولا ارى
بعيدا غدا • ما اقرب اليوم من غد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد(١١)

والشاعر فى هذه الأبيات يدفع لوم لائميه الذين أخذوا عليه افراطه فى شهود اللذات وامتناع نفسه على المذهب الذى يراه •

---

(١١) راجع شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٤٨ وما بعدها • والتبريزى ص ١٠٧ وشرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص ٨٠ •

قوله : وجدك : قسم ، والجد : الحظ • عودى : جمع عائد وهو الزائر • النحام : الحريص البخيل • الحثوة : الكومة من التراب • يعتام : يختار •

والسؤال المعجز الذى ألقاه الشاعر على هؤلاء اللوم : هل أنت مخلدى ؟ هل تضمن لى الخلود فى الدنيا حتى أقتصد فى امتاع نفسى واشباعها من اللذا تالتى تريدها ؟

ان كنت أيها اللائم لا تستطيع تخليدى فىالدنيا ـ ولا أحد بالطبع يستطيع ذلك للشاعر ولا لغيره ـ فدعنى أتحدى الموت والفناء بانتهاب اللذة المتاحة من الدنيا ـ هكذا يتصور الشاعر أنه بانتهاب اللذة والاستمتاع بالحياة قدر استطاعته يبادر الموت ويغالبه ٠

ويعلن الشاعر أن حرصه على الحياة وكراهيته للموت انما هما من أجل أمور ثلاثة يجد فيها سعادته ، وتلك الأمور هى : (شرب الخمر الجيدة المعتقة التى يعلوها الزبد عندما يضاف اليها الماء ، والكر للدفاع عن الجار على حصان قوى نشيط ، والاستمتاع بالمرأة الممتلئة الجميلة) ٠

وفى وصف طرفة لهذه اللذات حاول الشاعر أن يعرضها فى جوها الذى يروقه ويعجبه ، ويبلغ بها الدرجة العليا فى اشباع حاجته وارواء ظمئه لما توفر لها من أسباب الفتنة ودواعى الجذب للشاعر وأمثاله ٠

فليس المقصود هو ادراك اللذات الثلاث على أى وجه ، بل ادراكها على نحو مخصوص يجعلها فى النمط الممتاز الذى يعجب الشاعر ويمتعه ٠

وانظر الى صورة الشرب تجده شربا غير عادى ، بل هو شرب فيه سبق للعاذلات بما يوحى هذا السبق من تجاذب بينه وبينهن ، وانى لأتصور هؤلاء العاذلات ، يداعبن الشاعر بعذله على الشرب ، فليس العذل من باب الجد والنصيحة ، بل هو ضرب من اللهو والتظرف والدلال ٠ أما الخمر التي يشربها فهي كميت محمرة اللون لأصالتها

وقدمها ، يضيف اليها بعض الماء فيعلوها الزبد • وكل هذه الأوصاف التى عددها الشاعر تضفى على صورة هذه اللذة مزيدا من ايحاءات جو المتعة الذى أسر لب الشاعر ، وجعله يحب الحياة ويكره الموت •

وانظر الى صورة كره التى وصفها وفرسه التى نعتها تجدها كذلك فى المعرض الذى يجعلها فى النمط الراقى لتحقيق المتعة ، فهو يخف للنداء ويلبى طلب المستغيث غير وان ولا كسول ، على فرس •

أما متعته الثالثة ، فقد استجمع لها الشاعر أطراف الوصف الموحى ببلوغها أرقى درجة من الامتاع لتكون ملائمة لمزاجه ، جديرة بأن يحب الحياة من أجلها ، فهو يلهو بالمرأة الجميلة الممتلئة تحت الخباء الممدد ، يقصر بهذا اللهو يوم الشتاء الممطر الذى يتعجب الناس من شدة مطره وغزارته ، ويحتمى من برده وغيمه ومطره بخلوته اليها تحت الخباء •

ولقد كانت الخمر والمرأة من أولى المتع التى حرص الجاهليون على انتهابها ، فقد روى الجاحظ :

أن امرأ القيس سئل : ما أطيب عيش الدنيا ؟ فقال : بيضاء وعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مكروبة •

وسئل الأعشى عن ذلك فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية من صوب غادية (١٢) :

وبعد ما وصف طرفة لذاته التى لا يأبه بالحياة الا من أجلها طلب من لائمه أن يخلى بينه وبين تلك اللذات ، ليروى نفسه منها

---

(١٢) طرفة بن العبد ـ حياته وشعره : ص ٤٦ ـ د• محمد علي الهاشمي عالم الكتب ـ بيروت •

قبـل أن يموت فالذى ينعم بالدنيـا هو الكـريم الظـافر ، والذى يحرم نفسـه من متعها هو المحـروم الذى لن يزيل حـرمانه شىء لأنه لا متعـة بعـد المـوت .

هكذا ظن طـرفة . والموت الذى أراد الشـاعر التغلب عليـه بانتهاب الحيـاة ، وسبقه الى لذاتها ، رآه مثـل الحبـل ـ ممدودا على ابن آدم ـ يربطه كما تربط الدابة ، وترسـل فى مرعـاها ، وصـاحبها ممسـك بحبلها يردها به عندما يشـاء ، فكذلك أمـر المنيـة والنـاس ، يقـاد المـرء لحتفه عندما يشـاء مقـدر المـوت ، ومن يك فى حبـل المنيـة لا يستطيع منـه فكاكا .

ثم استحضر الشـاعر صـورة القبر فـرآه حفـرة توارى الانسـان بعد موته ، لا فـرق بين غنى وفقـير ، أو مسرف وبخيـل ، فالقبر كل قبر ليس الا كـومة من تراب عليهـا بعض صفائح صم تضم جسم الانسان ولا يظهـر عليهـا أثر نعيم أو عذاب ، وكأن الشـاعر بهذا الوصف يريد أن يدلل على صواب مذهبـه فى امتـاع نفسـه وارووائها من لذات الدنيا قبل أن تذهب الى هذا المصـير .

وهـل يحـرم نفسـه من ملذات الحيـاة وهو يرى المـوت يهلك النـاس الكريم منهم والبخيل على سـواء ؟!

ولقد أدرك الشـاعر يقينـا أن الموت أعداد النفوس فلا مهـرب منه ولا فـرار ، ومن لم يمت اليـوم يمت غـدا ، وما أقرب هذا الغد . كما أدرك أن كل ليـلة تفـوت تنقص من كنـز عيشـه ورصـيد عمـره حتى ينتهى ذلك الكنز ـ أفيضيعه فى الحـرمان من أجـل ارضـاء لائمـه الذى لا يملك دفـع الموت عنه ولا يستطيع تخليده ؟ .

هذه رؤية طـرفة التى قدمها في صـورة جدلية ، تكشف عن عقيدته في أمـر الموت والحيـاة .

وتكـرار الفعـل (أرى) فى الأبيات الأخيرة :

أرى قبـر نحـام ... - تـرى خشـوتين مـن تـراب ... -

أرى الموت يعتـام الكـرام ... - أرى العيـش كنـــزا ...

يؤكد انشـغال الشـاعر بأمـر الموت ، وطول نظـره اليـه وتفكيره فيـه ، كما يدل تعبيـره بهـذا الفعـل (أرى) على أن عقيـــدته فى الموت وأفـكاره عنـه لم يأخذها عن دين ولم ينقلها عن أحد ، ولم يرثها عن نحـلة أو مذهب ، فهى مبنيـة على رؤيتـه وخبرته ، وتلك الرؤية لم تدرك من أمـر المـوت والقبـر الا ما يظهـر منهما للعين ، وان كانت العين صـالحة لمـد الشـاعر بهذه الصـورة الظـاهرية ، فانها غير صالحة لمعـرفة كنـه وحقيقـة ما يحدث بعد المـوت ، فذلك عـالم آخـر لا تدرك حقـائقه بالحـواس .

ولا أظن أن طـرفة بن العبد فى هـذه الرؤية كان شـاذا ، فلقـد كانت هذه عقيدة أكثر الجاهليين .

وبعد أن فـرغ طـرفة من بسط عقيدته فى أمـر الموت ، تحدث عن علاقته بابن عمـه مالك ، ثم فخـر بنفسـه وعدد خصـاله ومآثره ، وفى نهـاية القصيدة طلب من ابنـة أخيه معبد أن تنعيـه عند موته بما هو أهله وأن تبكى عليـه وتشق الجيب من أجله .

فـان مـت فانعيـنى بمـا أنا أهـــله

وشـقي علي الجيـب يا ابنـة معبـــد

وفخـر الشـاعر بنفسـه هنـا وطلبـه من ابنـة أخيـه أن تبكيـه دليـل على تعلقـه بالحيـاة ، وحديثه عن الموت على النحـو الذى ذكر دليـل على حضـوره فى ذهنـه وادراكه أن الموت مصـير جميع البشر ، مع انكاره للحيـاة بعده أوشـكه فى ذلك ، ولقد كان مصـيبا فى ادراكه ، مخطئـا فى شـكه وانكاره .

البـاب الثـالث

السمات الموضوعية والفنيـة لشعر الموت

الفصـل الأول : السـمات الموضوعية •

الفصـل الثانى : السـمات الفنيـة •

الفصل الأول

السمات الموضوعية

تشيع فى شعر الموت عدة ظواهر تتعلق بالفكرة أو الموضوع ، وهى تمثل سمات يتصف بها هذا الشعر ، وهذه السمات هى :

أولا : استعادة الماضى :

فى لحظات الضعف التى يواجه فيها الشاعر الموت أسيرا أو جريحا أو مريضا أو شيخا ، يتذكر الماضى وما حفل به من أوقات السعادة ومظاهر القوة .

وتطالعنا هذه السمة بوضوح فى شعر رثاء النفس ورثاء الآخرين وغالبا ما تكون فى اطار من الموازنة بين حالتى القوة والضعف ، والماضى والحاضر ، والحياة والموت ، فى تعجب وتحسر شديدين . وذلك كما فى قول امرىء القيس :

كأنى لم أركب جوادا للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وقوله :

ألم أنض المطى بكل خرق
أمق الطول لماع السراب
وأركب فى اللهام المجرحتى
أنال مآكل القحم الرغاب

وكما فى قول عبد يغوث :

وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطى
وأمضى حيث لا حى ماضيا

واعقر للشرب الكرام مطيتى وأصدع بين القينتين ردائيا
كانى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

وكما فى قول عمرو بن قميئة :

واذا ما رآنى الناس قالوا : ألم تكن
جليدا حديث السن غير كهام

ونجد مثل ذلك فى قول الأسود بن يعفر :

ولقد لهوت وللشباب لذاذة بسلافة مزجت بماء غواد
ولقد غدوت لعازب متناذر أحوى المذانب مؤنق الرواد

وفى قول عباد بن شداد :

فان ترينى ضعيفا قاصرا عنقى
فقد أكعكع عنى عدوة العادى
وقد ألفيء بأثواب الرئيس وقد
أغدو على سلهب للوحش صياد

وحديث الماضى وما كان يزخر به من قوة وفتوة فى معرض التعجب والتحسر دليل على تعلق النفس بالحياة ، وتعبير عن مكنون فطرتها فى حب العيش وكراهية فراق الدنيا ، وان كان هذا الأمر

واضحا فى رثاء النفس ، فان الشعراء يذكرون ماضى من يرثونهم ، فى اشارة الى تبدل الأحوال وانقضاء الآجال ، وفى تنبه الشاعر لذلك دليل على ادراكه للمصير الذى ينتظره ، وأنه لاحق بمن يرثيه لا محالة .

كما ورد ذكر الماضى والمقارنة بين الحياة والموت فى شعر الحكمة الذى اتخذ الموت موضوعا له ، على نحو ما نجد فى قول بشر بن أبى خازم :

وكل نفس امرىء وان سلمت
يوما ستحسو لميتة جرعا

فقد جمع بين السلامة والموت .

ويجتمع الأمران فى قول عنترة :

يخوض الشيخ فى بحر المنايا
ويرجع سالما والبحر طام
ويأتى الموت طفلا فى مهود
ويلقى حتفه قبل الفطام

ففى البيت الأول صورة للحركة والسلامة والنجاة ، وفى البيت الثانى صورة للموت والهلاك .

ثانيا : ذكر الأهل والأصحاب والرفاق :

وكما استعاد الشعراء ماضيهم وهم يواجهون الموت ، ذكروا أوطانهم وأهليهم وأصحابهم ورفاقهم وندبوهم فى محاولة للتقوى بهم والائتناس ، اذ يشعر الشاعر فى لحظة سيطرة فكرة الموت عليه بكثير من الضعف والوحشة ، فيلتمس فى تذكره أهله ونداءهم عونا له على ما يعانيه . هذا المرقش الأكبر يخاطب صاحبيه :

يا صاحبى تلوما لا تعجلا ان الرحيل رهين الا تعذلا

ويذكر أخويه أنسا وحرملا :

يا راكبا اما عرضت فبلغا أنس بن سعد ان لقيت وحرملا

ويخاطب الفنون التغلبى صاحبه فيقول :

فطنا معرضا ان الحتوف كثيرة
وانك لا تبقى بمالك باقيا

وخاطب عبد القيس بن خفاف ولده فقال :

أجبيل ان أباك كارب يومه
فاذا دعيت الى العظائم فافعل

وقال كعب الغنوى فى رثاء أخيه مخاطبا صاحبيه :

فخبرتمانى انما الموت بالقرى
فكيف وهذى روضة وكثيب

ووجه عبد يغوث الخطا بالى صاحبيه وندامام فقال :

الا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا
فما لكما فى اللوم خير ولا ليا
الم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن
نداماى من نجران الا تلاقيا

ثالثا : الحضور القوى للمرأة :

من الظواهر الواضحة فى شعر الموت الحضور القوى للمرأة فى

ذهن الشاعر وذكرها والحكاية عنها ، وقد ورد ذكر المرأة فى عدة نماذج هى :

(أ) نموذج المرأة الساخرة العاذلة المستهزئة ، كما فى قول امرىء القيس :

فبعد اللوم عاذلتى فانى
ستكفينى التجارب وانتسابى

وفى قول عبد يغوث :

وتضحك منى شيخة عبشمية
كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا

وفى قول عباد بن شداد :

وتهزأ العرس منى أن رأت جسدى
أحدب لم تبق منه غير اجلاد

(ب) نموذج الزوجة الوفية والمحبوبة الاثيرة :

وذلك كما فى قول عبد يغوث :

وقد علمت عرسى مليكة اننى
أنا الليث معدوا على وعاديا

وفى قول عبد القيس بن خفاف :

افاطم انى هالك فتبينى
ولا تجزعى كل النساء يئيم
ولا أنبأن أن حر وجهك شانه
خموش وان كان الحميم حميم

وفى قـول عنتـرة :

يا عبـل أين من المنيـة مهربى
ان كان ربى فى السـماء قضـاها

(حـ) الابنـة الحبيبة التى ينتظـر الشـاعر منها بكاءه والحـزن من أجله ، كما فى قول بشـر بن أبى خـازم :

اسـائلة عمـيرة عـن أبيهـا
خـلال الجيـش تعتـرف الـركابا

الى أن يقـول :

فمن يك سـائلا عن بيت بشـر
فـان لـه بجنـب الـرد بـابا
رهـين بلى وكل فتى سـيبلى
فـأذرى الدمـع وانتحبى انتحـابا

وفى قـول طـرفة يخاطب ابنة أخيه :

فـان مت فانعينى بما أنا أهـله
وشـقى على الجيـب يا ابنـة معبد

وفى طلبهم من بناتهم البكاء عليهم التماس للتعـزى عن الموت فى حـزن ذويهم وذكـرهم اياهم ٠

(د) نموذج الأم الرءوم :

وقد ورد ذكـر هذا النموذج فى اطـار المقـارنة بين وفاء الأم وغدر الزوجة التى تتغير عواطفها نحو زوجها عندما تتغير أحواله ، ويفقد قـوته ومنزلته ، وذلك كمـا فى قـول صـخر بن عمـرو الشـريد :

أرى أم صـــخر لا تمـــل عيـــادتى
وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امـــرىء ساوى بأم حليـــلة
فـلا عـاش الا فى شـقى وهـوان

(هـ) نمـوذج المـرأة المتعـة :

وقد ذكـرت فى سياق المتـع التى تغـرى بالحيـاة وتحببهـا ، وترغب النفس فى الدنيـا ، وتنفـرها من الموت ، وذلك فى قول طـرفة بن العبد مثلا :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنـة تحـت الطـراف المعمـد

وحضور المـرأة فى شعر المـوت على هذا النحو لا تختلف علته - فى رأيى - عن عـلة ذكـر المـاضى وذكـر الأهـل والرفاق ، فهو تعبير عن تعلق النفس بالحيـاة ورغبتها فى استبقائها بتذكر عنـاصرها المهمـة .

رابعـا : الحـديث عن القبـر :

وقـد ذكـر الشعراء القـبر ووصفوه بوصـفه البيت الأخـير الذى ينزلـه الانسـان ، والمصـير الذى ينتهى اليـه ، وذلك كمـا فى قـول يزيـد بن خـذاق :

وأرســلوا فتيـــة مـن خيـرهم حسـبا
ليسـندوا فى ضـريح التـرب أطبـاقى

وكما فى قـول بشـر بن أبى خـازم :

فمـن يـك سـائلا عـن بيـت بشـر
فـان لــه بجنــب الـــرده بــابا

ثوى فى ملحد لابد منه ... كفى بالموت نايا واغترابا

وكما فى قول عبد القيس بن خفاف :

ومشيد دارا لينزل داره ... نزل القبر وداره لم ينزل

وفى قول دويد بن زيد بن نهد :

اليوم يبنى لدويد بيته ... لو كان للدهر بلى أبليته

وفى قول المهلهل :

سالت الحى أين دفنتموه ... فقالوا لى بسفح الحى دار

فسرت اليه من بلدى حثيثا ... وطار النوم وامتنع القرار

وحادت ناقتى عن ظل قبر ... ثوى فيه المكارم والفخار

وفى قول ليلى بنت طريف :

بتل بناثا رسم قبر كانه ... على جبل فوق الجبال منيف

تضمن جودا حاتميا ونائلا ... وسورة مقدام ورأى حصيف

الا قاتل الله الحشى كيف اضمرت

فتى كان للمعروف غير عيوف

فان لا تجبنى دمنة هى دونه

فقد طال تسليمى وطال وقوفى

وفى قول حاطب بن قيس :

سلام على القبر الذى ضم اعظما

تحوم المعالى حوله فتسلم

سلام عليه كلما ذر شارق

وما استقطع من دجى الليل مظلم

فيـا قبـر عمـرو جـاد أرضـا تعطفت
عليـك ملـث دائـم القطـر مـرزم
تضـمنت جسـما طاب حيـا وميتـا
فـانت بما ضـمنت فى الأرض معـلم
فـلو نطـقت أرض لقـال ترابهـا
الى قبـر عمـرو الأزد حـل التـكرم

وفى قـول طـرفة :

أرى قبـر نحـام بخيـل بمـاله
كقبـر غـوى فى البطـالة مفسـد
تـرى جثـوتين مـن تـراب، عليهمـا
صـفائح صـم من صـفيح منضـد

وهم فى تعبيرهم عن هـذه الأفكار والمـامهم بتـلك المعـانى ، يصـدرون عن فطرتهم واحسـاسهم ، وعن خبرتهم المستمدة من واقـع بيئتهم ونظم عيشهم ، ولذا فقد اتسـم تناولهم للأفـكار بالقـرب والوضوح وعـدم التعقيد وقـلة التعمق ، فهم ليسوا أصحاب فلسفة ولا ورثة علوم ، ونظم عيشهم كانت بدائية بسـيطة ، وبيئتهم التى عاشوا فيهـا هى التى أمدتهم بمعارفهم ، وهى التى وجهت عواطفهم وكونت آراءهم فى الوجود والحيـاة والمصـير .

* * *

الفصل الثانى

السـمات الفنيــة

يتصف شـعر الموت بعـدة سمات تميزه من حيث المعالجة الفنيـة عن غيره من ألوان الشعر الجاهلى ، وهذه السمات هى :

أولا ـ الوحـدة الموضـوعية :

فى بحثنا عن الوحـدة فى شـعر الموت لا مندوحة لنا من اخراج شـعر الحكمة من هـذا الشعر فى ذلك المبحث ، لأن الحكمة التى تناولت الموت لم تنفرد بقصيدة أو مقطوعة ـ غالبا ـ وانما كانت أبياتا متفرقة فى ثنايا القصائد أو آخرها .

يبقى عندنا فى هـذا المبحث النمطان الآخران لشعر الموت ، وهما رثاء النفس ، ورثاء الآخرين ، وهـذان النمطان يندرجان تحت عنوان واحد فى أبواب الشعر العربى هو الرثاء .

وقـد تميزت أشعار الموت فى هـذين النمطين بوحـدة الموضـوع ووحـدة الجو النفسى ، وهى تختلف فى منهجها وبنائها عن المنهج العام للقصيدة الجاهلية ، هذا المنهج الذى كان يقضى بتعدد الأغراض والموضوعات فى القصيدة الواحـدة ، وببدئها بمقدمة غزلية أو طللية ثم الانتقال الى الوصـف ، ثم المدح ـ أو الفخر .. أو غير ذلك من الأغراض .

وطبيعة الرثاء هى التى فرضت هـذا المنهج وتطلبت هـذا البنـاء « فجو الحزن ، وعظم المصيبة ، والشـعور بالفناء ، من أصعب الأجواء

التى تقيـد النفس البشرية بقيودها ، فلا تدعها تنطلق الى أجواء أخرى كالنسيب أو الغزل »(١) •

وقد أشـار الناقد الكبير ابن رشيق الى ذلك فى قوله :

« ليس من عـادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك فى المديح والهجاء •• لأن الآخذ فى الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب بما هو فيـه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة »(٢) •

وفى قول ابن رشيق بوجوب انشغال الشـاعر عنـد الحـديث عن الموت بالحسرة والاهتمام ما يدل على أن بدء المراثى بالغزل معيب ، وأن خلط الرثاء والحديث عن الموت بموضوعات أخـرى لا يليق ، ولا يقدح فى الوحـدة الموضوعية والنفسية التى نثبتها لشـعر الموت فى نمطيه (رثاء النفس ورثاء الآخرين) ما ألم به الشعراء من حـديث عن ماضيهم فيما يشبه الفخر ، أو ماضى من يرثونهم فيمـا يشـبه المـديح ، اذ أن هـذا الحـديث مرتبط أشـد ارتباط بمـا قصـد اليه الشـعراء من تعبير عن الحسرة والألم ، والتعجب من تبدل الأحوال وتغيرها •

وهو فى الوقت نفسه اعـلاء للذات وتثبيت للنفس وتعزية وتقوية واقناع ، حتى لا تتمزق وتنهار أمـام عاصـفة الموت • والأمر كذلك فى حديثهم عن السـنة الدائمـة فى مـوت الناس جميعا ، وتمثلهم بمـوت السابقين ، لا يعـد شيء من ذلك خروجا على وحـدة الموضـوع أو على وحـدة الجو النفسى •

وحسب هذا الشـعر أن يتمثل فيـه هذا القدر من الوحدة ، وأظـن

---

(١) رثـاء النفس بين عبد يغـوث ومالك بن الريب ص ٧٥ د• ابراهيم الحاوى •

(٢) السابق ص ٧٥

أنه من التعسف أن يبحث عن وحـدة أعقـد من ذلك هى ما يسمى فى النقـد الحديث بالوحدة العضوية ، وهى تستدعى تماسكا بين الأفـكار والأبيـات وترتيبـا منطقيا يجعل أبيـات القصيدة متلاحمة حتى ليصعب تغيير مكان بيت أو حـذفه أو تقديمه أو تأخيره • فالمشاعر التى تسـتبد بالشاعر ، ويعبر عنها لا تتيح له فرصـة التدقيق والترتيب والتنظيم حتى تخرج قصيدته على النحو الذى يريده النقـد الحديث الداعى الى الوحـدة العضوية •

ثانيـا ـ الصـدق فى العاطفـة :

لا شـك فى أن الشـاعر عندما يعبر عن موقفه فى مواجهة المـوت راثيا نفسه أو راثيا غيره ، أو مصورا رأيه واعتقاده فى أبيـات من الحكمة بشأن هـذا القدر الجارى على الناس جميعا ، يعايش تجربته أصدق وأتم ما تكون المعايشـة ، حتى تملك عليه تجربته فكره وحواسـه ، لأن جو الحزن فى هـذا الموقف يملأ على الشـاعر وجـدانه ويحيـط به من كل جانب ، والتجـربة هنا تجربة شخصية تنصهر داخل الشاعر ، ويخلص لها ، ومنبعها هو احساس الشاعر بالغربة والفناء فى مواجهة الموت •

واذا كانت العـاطفة تحتمل الصـدق والكـذب فى أغـراض القول المختلفة كالمديح والهجاء والغـزل والفخر ، فانها هنـا لا تحتمـل غير الصـدق ، اذ كيف يزور الانسـان مشاعره أمام نفسه ، وهو يواجه الموت يصرعه ، أو يصرع أحـد أقاربه الأدنين ـ الأخ أو الابن أو الصديق ؟ !

ان شـعر الموت يفيض بالصـدق النفسى الذى يحسـه المرء فى كل بيت وفى كل جملة ، فليس الموقف مـوقف ادعـاء زائـف ، وليس هنا عطـاء يخطف بصر الشـاعر ويخلب لبـه ، فيغـريه بالكذب ، وليس الدافع الي هـذا الشـعر رهبة من ملك أو أمير أو غيرهما تنجي منهـا

الممالأة والمجاملة ليتجنب الشاعر البطش ، ولو جانب الصدق فى مديحه وتملقـــه .

وليس الدافع هنـا كذلك ارادة الانتصار للقبيلة والاعـلاء من ذكرها مما يدعو الى التزيد والادعـاء . كما يحـدث فى الفخر ، وليس هنـا رغبة فى التشـفى بالحط من شـأن الآخرين ورميهم بالمثالب ـ حقا أو باطلا ـ كما يحـدث فى الهجاء .

ان الشاعر فى تأمله لحقيقة الموت وتعبيره عن رأيه فيها ، واحساسه بهـا يواجـه قوة لا تنفع معها مراوغة ولا مناوأة ، ولا تشـفع عنـدها مجاملة ولا تملق ، ولا يجـدى أمامها كذب أو ادعـاء .

انه فى هـذه الحالة لا يجـد أمامه غير التسـليم والخضـوع فى طواعية وصـدق ، ينبعثان من أعمـاق نفسه الكسيرة العاجزة أمـام هذا القـدر الجبـار .

وهل يخفى صدق العاطفة فى قول امرىء القيس :

الى عرق الثرى وشجت عـروقى	وهـذا المـوت يسـلبنى شـبابى
ونفسى سـوف يسـلبها وجـرمى	فيلحقنى وشـيكاً بالتـراب

أو فى قول بشر بن أبى خـازم :

فمـن يـك سـائلا عن بيت بشر	فان لـه بجنـب الـرده بـابا
رهـين بلى وكل فتى سـيبلى	فأذرى الدمـع وأنتحبى انتحـابا
ثـوى فى ملحـد لابـد منـه	كـفى بالمـوت نايـآ واغتـرابا

أو فى قول عبـد يغـوث :

فيا راكبـا أمـا عرضـت فبلغـن	نداماى من نجران أن لا تلاقيـا

ومثل ذلك كل ما قيل في رثاء النفس :

وهل يخفى الصدق فى قول كعب بن سعد الغنوى :

فخبرتمانى أنمـا المـوت بالقـرى   فكيف وهـذى روضـــة وكثيب

أو فى قول سعدى بنت الشمردل فى رثاء أخيها :

غادرته يـوم الرصـــاف مجنـدلا   خبر لعمـرك يـوم ذلك أشـنع

أو فى قول ليلى بنت طـريف :

فيا شـجر الخابـور مالك مورقـآ   كأنك لم تجزع على ابن طـريف

ومثل ذلك كل ما أوردناه من رثاء الآخرين .

بل هل يخفى الصـدق فى قول زهـير :

ومن هــاب أسـباب المنـايا ينلنه   وان يرق أسـباب السماء بسـلم

أو فى قول طـرفة :

لعمرك ان الموت ما أخـطأ الفتى   لكالطول المـرخى وثنيـاه باليـد

أو فى قـول عنترة :

يا عبـل أين من المنيـــة مهـربى   ان كان ربى فى السـماء قضـاها

ومثل ذلك كل أبيـات الحكمة التى نطقوا بها فى أمر المـــوت ، لأن النفس فى معالجة هـذا الأمر لا تجد طريقا آخر غير الصدق البرىء من كل شائبة ، به تطرح النفس همها وتزيل كدرها ، فتظهر على حقيقتها دون خفــاء ، ومن أجـل هذا الدسـدق عـد أسلافنا شعر الرثاء أجـود الشعر ، فقـد روى الجاحظ نقـلا عن الباهلى أنه قيل لأعرابى : مابال المراثى أجود أشعاركم ؟ قال : لأنا نقول وأكبادنا تحترق(٣) .

---

(٣) انظر رثاء النفس بين عبد يغوث ومالك بن الريب ص ٢٠٢

وذكر البيهقى فى المحاسن والمساوىء أنه قيل لأبى عبيدة :

ما أجود الشعر عندكم ؟ فقال : النمط الأسود • يعنى المراثى(٤)•

ثالثا - وضوح الألفاظ وسهولة الأساليب :

أدوات الشاعر هى ألفاظ اللغة وتراكيبها ، وطرائق التصوير وأساليبه ، بها يعبر الشاعر عن نفسه ويعلن ما فى ضميره ، وبها يصور دقائق فكره وخفايا مشاعره •

وبالنظر فى الألفاظ التى استخدمها الشعراء ، والأساليب التى سلكوها للتعبير عن احساسهم بالموت ، نجدها ألفاظا سهلة واضحة، قلما تجنح الى اغراب أو غموض ، وأساليب مستوية صافية لا التواء فيها ولا تعقيد •

ومرد ذلك الى أن الشاعر فى حديثه عن الموت يصدر عن فطرته من غير تحسين ولا تزيين ، والفكرة التى تشغله لا تترك له مجالا للتحكيك والاختيار ، فيعبر عن نفسه بأقرب الألفاظ وأسهل التراكيب وقد أضفى هذا الوضوح على شعرهم فى الموت مزيدا من الجمال •

« ان الشعر الذى يصدر عن لواعج النفس بكل ما فى هذه النفس من بساطة الشعور ورقة الحال لا يدهش أن تأتى ألفاظه سهلة بسيطة موحية »(٥) •

رابعا - غلبة ضمير المتكلم :

يكثر استخدام ضمير المتكلم فى شعر الموت ، ويتردد أكثر من غيره من الضمائر ، ويبدو أن التجربة الذاتية فى هذا الشعر هى التى

---

(٤) السابق ص ٢٢
(٥) السابق ص ٢٦

اقتضت ذلك ، فامرؤ القيس مثلا يستخدم ضمير المتكلم أكثر من عشرين مرة فى أبيات لم تتجاوز الثلاثة عشر بيتا فى قصيدته التى يقول فيها :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

وفى قصيدة عبد يغوث لا يكاد بيت يخلو من ضمير المتكلم ، واستخدم الأسود بن يعفر ومخارق بن شهاب وصخر بن عمرو الشريد ويزيد بن خذاق ضمير المتكلم فى الشعر الذى رثوا به أنفسهم كثيرا .

وبعض الشعراء راوح بين استخدام ضمير المتكلم وضمير الغائب فى رثاء النفس ، لكن ضمير الغائب يدل على الشاعر أيضا على طريقة التجريد ، فلا يخرج فى حقيقته عن حال التكلم ، وذلك فى مثل قول بشر بن أبى خازم :

فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الرده بابا

وفى قول دويد بن زيد بن نهد :

اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته

وقول المرقش :

من مبلغ الأقوام أن مرقشا أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

وفى رثاء الآخرين استخدم ضمير المتكلم بكثافة كذلك ، فكعب بن سعد الغنوى يعبر به سبع مرات فى ثمانية أبيات ، كما لا تخلو قصيدة المهلهل فى رثاء أخيه من هذه الكثافة ، فهو مثلا يقول :

أهاج قذاة عينى الادكار هدوءا فالدموع لها انحدار

وصار الليل مشتملا علينا كأن الليل ليس له نهار

وابكى والنجوم مطلعات كأن لم يحوها عنى النجار

وهكذا الى آخر الأبيات .

ويشيع ضمير المتكلم فى قصيدة سلمة بن يزيد التى رثا بها أخاه :

أقول لنفسى فى الخلاء الومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر

الا تفهمين الخبر أن لست لاقيا أخى اذا ما اتى دون أكفانه القبر

وكنت اذا ياتى به بين ليلة يظل على الاحشاء من بينه الجمر

ولا يختلف شعر الحكمة فى هذه الظاهرة عن رثاء النفس ورثاء الآخرين فقد استخدم الشعراء ضمير المتكلم ، فى تعبيرهم عن رؤيتهم للموت واحساسهم به .. فزهير بن أبى سلمى يقول :

رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

ويقول عنترة :

يا عبل أين من المنية مهربى ان كان ربى فى السماء قضاها

وقال قس بن ساعدة :

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها يمضى الأصاغر والأكابر

الى آخر الأبيات :

وقال طرفة :

فذرنى أروى هامتى فى حياتها ستعلم ان متنا غدا أينا الصدى

أرى قبر نحام ... أرى الموت يعتام الكرام ...

أرى الموت أعداد النفوس ... أرى العيش كنزا ناقصا ...

الى آخر الأبيات .

خامسا ـ شيوع أسلوب الاستفهام :

من الظواهر الواضحة في شعر الموت شيوع أسلوب الاستفهام وهو استفهام مجازى يؤدى معانى التعجب والتحسر والنفى والانكار .

يبدأ يزيد بن خذاق أبياته فى رثاء نفسه باستفهام يريد به النفى حيث يقول :

هل للفتى من بنات الدهر من واق　　ام هل له من حمام الموت من راق

وأدى الاستفهام معنى التعجب فى قول عمرو بن قميئة :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمى وليس برام
واذا ما رآنى الناس قالوا الم تكن
جليدا حديث السن غير كهام

كما أدى معنى التمنى فى قول المرقش :

من مبلغ الأقوام أن مرقشا　　أمسى على الأصحاب عبئا مثقلا

وأريد به التعجب والانكار فى قول سعدى بنت الشمردل :

أمن الحوادث والمنون أروع　　وأبيت ليلى كله لا اهجع
أفليس فيمن مضى لى عبرة　　هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا

وفى قول سلمة بن يزيد :

أقول لنفسى فى الخلاء الومها　　لك الويل ما هذا التجلد والصبر
الا تفهمين الخبر إن لست لاقيا
أخى اذا ما أتى من دون أكفانه القبر

وفى قول ليلى بنت طريف :

الا قاتل الله الحشي كيف أضمرت　　فتى كان للمعروف غير عيوف

فيا شجر الخابور مـــالك مورقــا　　　كأنك لم تجزع على ابن طـــريف

وهكذا وظف الشـعراء أسـلوب الاستفهام فى أداء المعانى المناسبة للتجربة التى أرادوا التعبير عنها ٠

سادســا ـ واقعيــة الصــورة :

اعتمـد شـعر الموت ـ غالبا ـ على التعبير المباشر ، وقلت فيـه الصور التخييلية كالتشبيه والاستعارة وغيرهما ، وكثرت فيـه الصـور الكليـة النفسية التى ترمى الى بيـان المشاعر على حقيقتها ، ووصف أثر الموت فى نفس الشاعر واحساسه به ٠

ولأن حقيقة الموت تسمو فوق كل تصوير وتعجز أى خيال ، استخدم الشعراء الأساليب المباشرة ، ولم يلجأوا الى الصـور الجزئية الخياليـة الا فى اطـار محـدود ، كما فى قول امرىء القيس :

وأعـلم أننى عمــــا قليــــل　　　سأنشـب فى شـبا ظفـر ونـاب

يقصد المنيـة التى صورها وحشا مفترسا ذا ظفر وناب ٠

وكما فى قول عبيــد :

وللمـرء أيـام تعــد وقـد رعت　　　حبـال المنايا للفتى كل مرصــد

وقول عنترة :

يخـوض الشـيخ فى بحـر المنـايا　　　ويرجـع سـالما والبحـر طـام

وقول طـــرفة :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى　　　لكالطـول المرخى وثنيـاه باليـد

وقول زهــير :

رأيت المنـايا خبـط عشــواء من تصــب

تمتـه ومن تخطىء يعمــر فيهــــرم

فهـذه صـور جزئية اعتمدت الخيال طريقا لها فيما تضمنتـه من تشبيه أو استعارة ، وفيما عـدا ذلك عبر الشعراء عن رؤيتهم للمـوت واحسـاسهم به عن طريق الصـور النفسـية الكليـة المبـاشرة ، التى لم تصطنع التخييـل .

ولم تقـلل هـذه المباشرة من جمـال هذا الشعر ، ولم تغض قـلة الخيال فيه من قدره ، فصـدق العاطفة ودقة الوصـف وايحاءات الألفـاظ وعفوية التعبير ، كفلت لهـذا الشعر أسـباب جماله وجودته وخلوده .

ولا أدل على ذلك من استحسان نقادنا القدامى المشهود لهم بالذوق السـليم والرأى السـديد لكثير من نماذج هـذا الشـعر ، فقد استحسن الأصمعى وابن قتيبة والقرشى والقالى قصيدة كعب بن سـعد الغنوى ، ورووها . واستحسن المفضل وابن عبد ربه وغيرهما قصيدة عبد يغـوث وروووهـا .

كما استحسنوا أشعار امرىء القيس وطرفة وعبيـد وبشر بن أبى خازم ويزيد بن خذاق وغيرهم ممن تقـدم الكلام عنهم .

ومضى على هذا الاستحسان أجيال متتابعة يتمثلون بهـذا الشـعر ويروونه ، ويجدون فيـه أصـدق تعبير عن العـاطفة الانسانية عنـدما تهتز للموت واقعا أو فكرة .

وحسب هذا الشعر ذلك وأقل منه .



الخـــاتمة

كانت هــذه رحــلة ، حاولت خلالها استكناه ضـمائر الشعراء فى العصر الجـــاهلى ، وتحسس مشـــاعرهم ، والتجسس على سرائرهم والتعرف على أفكارهم وخواطرهم ، وهم يواجهون المــوت عنـدما كان يحضر أحـدهم جريحا أو أسـيرا أو مريضـا ، أو يستحضرة أحـدهم أوقات التفكر والتأمل والاعتبـار •

ولم تكن الرحـلة سـهلة ميسرة ، ولكنها مع ذلك كانت مفيـدة وممتعــة ، اذ صـدقت ما كنت أعتقده من حتمية انشغال الشاعر الجاهلى بامر الموت ، واحساسه به ـ على الرغم مما قالوه فى الشجاعة والاقدام وعــدم المبالاة بالموت ـ مما يظن معه أن احساسهم به كان ضعيفا وأن انشغالهم بأمره كان قليلا •

ولقد حققت هذه الدراســة ـ بحمد الله ـ نتــائج تهون من أجلهـا المشقات ، وهذه النتائج هى :

أولا : الاهتــداء الى الدوافع التى ضاعفت من قلق الشاعر الجاهلى من الموت وزادت احساسه به ، والتى تمثلت فى قسوة البيئة ونظم العيش وظروف الحيـــاة •

ثانيـا : ادراك أثر الدين الصحيح والعقيدة السليمة فى ارضـــاء النفس ، وتقرير أن الجاهليين افتقـدوا الرضا والطمانينة بسبب افتقادهم الديــن الصــحيح •

ثالثـا : احصــاء الشعراء الذين رثوا أنفسهم ، والترجمة لهم وقــد بلغوا أربعــة عشر شــاعرا ، أكثرهم من المغمورين •

رابعا : لمست الدراسة مواطن الاحساس بالموت عند الشعراء الجاهليين فى غرضى الرثاء والحكمة ، وأوردت النصوص الناطقة بهذا الاحساس .

خامسا : كشفت الدراسة عن مجموعة من الخصائص الموضوعية والفنية التى اتسم بها شعر الجاهليين فى موضوع الموت .

هذه هى أهم النتائج التى حققتها هذه الدراسة ، فان كانت جديرة بأن تشفع لها بالقبول ، فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وان كانت غير كذلك ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**

٢ ـ **الأصمعيات** ـ للأصمعى ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة

٣ ـ **الأغانى** ـ لأبى الفرج الأصفهانى ـ دار عز الدين للنشر ـ بيروت

٤ ـ **بشر بن أبى خازم ـ حياته وشعره**

رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ اعداد حسن أحمد عبد السلام

٥ ـ **تاريخ الأدب العربى** ـ أحمد حسن الزيات ـ وزارة المعارف المصرية الطبعة ٢٥

٦ ـ **تاريخ الأدب العربى ـ العصر الجاهلى**

د٠ شوقى ضيف ـ دار المعارف ـ الطبعة الثامنة

٧ ـ **تاريخ الأدب العربى** ـ عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت

٨ ـ **تاريخ النقد الأدبى عند العرب** ـ د٠ احسان عباس ـ

دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

٩ ـ **جغرافية شبه الجزيرة العربية** ـ د٠ محمود طه أبو العلا

الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧

١٠ ـ **جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب**

السيد أحمد الهاشمى ـ المكتبة التجارية ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ٠

١١ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادى ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ

الخانجى بالقاهرة

١٢ ـ **ديوان أمية بن أبى الصلت** ـ المكتبة الأهلية ـ بيروت

١٣ ـ **ديوان بشر بن أبى خازم** ـ تحقيق د٠ عزه حسن ـ دمشق ـ ١٩٦٠

١٤ ـ **ديوان زهير بن أبي سلمي** ـ دار صادر ـ بيروت

١٥ - **ديوان عبيد بن الأبرص** - تحقيق وشرح د. حسين نصار - الحلبى

١٦ - **ديوان عنترة بن شـداد**

١٧ - **ديوان طرفة بن العبد** - تحقيق د. على الجندى
مكتبة الأنجلو المصرية

١٨ - **ديوان النابغـة** دار الكتب العلمية - بيروت

١٩ - **رثاء النفس بين عبد يغوث الحارثى ومالك بن الريب**
د. ابراهيم الحاوى - الرسالة - بيروت

٢٠ - **الرثاء فى الشعر العربى** - د. محمود حسن أبو ناجى
دار الحياة - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢١ - **شرح القصائد المشهورات** - لابن النحاس
دار الكتب العلمية - بيروت

٢٢ - **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**
لأبى بكر بن محمد القاسم الأنبارى - تحقيق عبد السلام هارون
دار المعـارف

٢٣ - **شرح القصـائد العشر للتبريزى**
ضبطه وصححه عبد السلام الحوفى - دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ

٢٤ - **شرح المعلقات السبع للزوزنى** - المكتبة التجارية بالقاهرة

٢٥ - **شرح المفضليات للتبريزى** - تحقيق على محمد البجاوى
مكتبة نهضـة مصر بالقاهرة

٢٦ - **شعر بنى تميم فى العصر الجاهلى**
جمع وتحقيق د. عبد الحميد محمود المعينى - منشورات نادى القصيم الأدبى ١٤٠٢ هـ

٢٧ - **شعراء بنى قشير فى الجاهلية والاسـلام**
د. عبد العزيز محمد الفيصل - الحلبي ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ تحقيق د٠ مفيد قميحة وزرزور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٠

٢٩ ـ الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى فى ضوء النقد الحديث د٠ نصرت عبد الرحمن ـ بغداد

٣٠ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت

٣١ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود شاكر ٠

٣٢ ـ طرفة بن العبد ـ حياته وشعره ـ د٠ محمد على الهاشمى عالم الكتب ـ بيروت ٠

٣٣ ـ قلق الموت ـ د٠ أحمد محمد عبد الخالق ـ عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٧٨ م

٣٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموى ـ دار بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

٣٥ ـ الوصايا والحكم فى الأدب الجاهلى
رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة
اعداد محمد عبد الجواد فاضل

الفهـــرست

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر
لم	له	١٧	١٥
وإذا الآل	وإذ الآل	١٨	٣
النضار	النضاره	٢٤	٤
تخمع	تمخع	٢٤	٢١
أوتحت	أو تحت	٢٧	١١
آل	آلت	٢٧	١٣
آل	آلت	٢٧	٢١
بن	بم	٢٨	١٨
على كذا وتبض	على وبتض	٣٧	١
قشيرأو	قشير أو	٣٨	١
يدعو	يعو	٤	١٣
فتذكر ابنته	ابنته	٧٠	٧
	مكرر	٧٠	٨
يسيل	بسيل	٨٧	٣
المعجب	المعجت	٩٠	١٥
مهاجرة	مهاجر	٩١	١١
ليهونوا	وليهونوا	١٠١	٥
ويدركاه	ويدركوه	١١٢	١٦
مرملينا	مر ملينا	١١٦	١٢
بالقرى	بالقوى	١١٧	١٣
تلقانا	تلقاناه	١٢١	١٤
ويبده	ويبدو	١٢٧	٦

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٦	١٣٦	فرس	فرس قوية
١٦	١٣٦	وعبوبة	رعبوبة
٥	١٤٧	فبعد	فبعض
٣	١٥٠	ليترك	لينزل

توزيع دار اللــواء
تليفون ٦٤١٨٠٧

رقـم الايداع بدار الـكتب والوثائق القومية
١٩٩١ / ٣٢٤٩

مطبعـة الحسين الإسـلاميـة
٢٥ حارة المـدرسـة خلف الجامـع الأزهـر